

الفَصِيلُ الثَّالِثُ

من علامات صلاح السريرة وفسادها

إن صلاح السرائر وفسادها أمر لا يعلمه على وجه القطع إلا علام الغيوب، ولكن الله ﷻ جعل علامات لصلاح السريرة وفسادها، تظهر على العبد يعرفها من نفسه، وتكون للناس بمثابة القرائن التي تعكس لهم سرائر الغير.

قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٦].

وفي هذا الفصل سيكون الكلام عن بعض العلامات التي تدل على صلاح السريرة وعكسها يدل على فسادها، مع الانتباه إلى أن أحداً لا يعلم حقيقة السرائر إلا الله ﷻ، فقد يظهر بعض المظاهر الطيبة من شخص فاسد السريرة، وقد تظهر بعض المظاهر السيئة من شخص صالح السريرة ولكن هذا قليل، لأن الغالب أن صلاح الباطن يقود إلى صلاح الظاهر، وفساد الباطن يقود إلى فساد الظاهر.

ومن هذه العلامات ما يلي:

العلامة الأولى: الإخلاص والصدق:

يعد الإخلاص عمدة أعمال القلوب، وأساس صلاح السريرة، حيث إن جل الأعمال القلبية المحبوبة لله ﷻ تعود إلى صفة الإخلاص. إن قيمة الإخلاص ومكانته العظيمة تظهر في كون التفاضل بين الأعمال والثواب عليها عند الله ﷻ تكون على قدر الإخلاص وتحقيقه في الأعمال، وقد بين الصحابي الجليل أبو ذر رضي الله عنه هذه الحقيقة بقوله: (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصيامهم. ولثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين)^(١). وسبق أن مر بنا قوله ﷻ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]. وإن ركعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من مئات الركعات من غيرهم، وقيام ليلة منهم أفضل من قيام الليالي الكثيرة من غيرهم، لما في عبادة الأنبياء من كمال التعظيم والإجلال والإخلاص

(١) الزهد، للإمام أحمد: (١٧١).

والخشوع ما ليس عند غيرهم. قال مطرف بن عبدالله: (إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صوماً وصلاة وصدقة والآخر أفضل منه بونا بعيداً، قيل له: وكيف ذلك؟ فقال: هو أشدهما ورعاً عن محارمه)^(١).

ويقول شيخ الإسلام: (والعبد قد يأتي بالحسنة بنية وصدق وإخلاص تكون أعظم من أضعافها)^(٢)، وقال ابن المبارك: (رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية)^(٣).

والإخلاص عمل قلبي باعته معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته، التي تثمر محبة الله ﷻ والخوف منه وتعظيمه ورجاءه واليقين بوعدته ووعيده. فإذا تمكنت هذه الأعمال الجليلة من القلب قادت به إلى العبودية الصادقة لله ﷻ وتوحيده لا شريك له، وأصبح الباعث لجميع الأعمال والأقوال والأحوال الظاهرة هو إرادة وجه الله ﷻ والدار الآخرة، وسلم من الأعراض الدنيوية التي تكون باعث بعض الناس إلى بعض

(١) الزهد، لابن أبي عاصم: (٢٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى: (١١ / ٦٦٠).

(٣) جامع العلوم والحكم: (١ / ٧١).

العبوديات كقصد الرياء والسمعة والظهور بين الناس، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من آفات أخرى: كالكبر والعجب والحسد وغيرها، نسأل الله العافية من ذلك.

ولست هنا بصدد التوسع في مسألة الإخلاص وأدلته من الكتاب والسنة، فإن هذا قد كتب فيه الكثير من الكتب والرسائل، وإنما المقصود التأكيد على أهمية هذا العمل القلبي وأثره العظيم في صلاح السريرة وأثر ضعفه في فسادها، ولذا سيكون التركيز في هذا المبحث إن شاء الله تعالى على معرفة بعض علامات الإخلاص التي بدورها تقودنا إلى معرفة بعض علامات صلاح السريرة، ويحسن بنا قبل ذكر هذه العلامات ذكر بعض التعاريف التي تناقلها السلف عن الإخلاص.

وقد ذكر طائفة منها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في منزلة الإخلاص إذ يقول: (وقد تنوعت عبارتهم في الإخلاص والصدق، والقصد واحد.

ف قيل: هو أفراد الحق ﷻ بالقصد في الطاعة.

وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

وقيل: التوقي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسك، و«الصدق» التنقي من مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له. ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا الصدق إلا بالإخلاص، ولا يتمان إلا بالصبر.

وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن. والرياء أن يكون ظاهره خيراً من باطنه. والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره.

وقيل: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله.

وقيل لسهل: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص، لأنه لا حظ للنفس فيه.

وقال يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا: الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه ينبت على لون آخر^(١).

(١) مدارج السالكين: (٢/ ٩٠-٩١).

ومن علامات الإخلاص التي يعرف بها العبد صلاح سريره ما يلي:

أولاً: ابتغاء وجه الله ﷻ والخلوص من الرياء:

أثنى الله ﷻ على عباده المخلصين بقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ
الْطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا
نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ [الإنسان: ٨-٩].

ويتحقق الإخلاص في القلب بالتخلص من أعراض الرياء الثلاثة، ألا وهي:

١- جلب المصالح الدنيوية بعمله الأخروي.

٢- دفع المضار الدنيوية بعمله الأخروي.

٣- التعظيم والشهرة بين الناس وحب الثناء منهم.

وبتخلص العبد من هذه الأعراض يتخلص من آفة الرياء المسخوطة لله ﷻ. وإن أشد هذه الأعراض تخلصاً منها حب التعظيم والشهرة بين الناس، ولقد كان من دأب الصالحين مجاهدة النفس بالفرار من مدح الناس وتعظيمهم وكراهية الظهور بينهم.

وهذا من علامات المخلصين لربهم ﷺ، حيث يكتفيهم علم الله ﷻ بهم، ورجاء ثوابه على أعمالهم، وأمثال هؤلاء تراهم يزهدون في مدح الناس والظهور فيهم، لا يبحثون عنها بل يكرهونها، ويودون أنهم في غرباء الناس، وأن أحداً لم يطلع على أعمالهم إلا الله ﷻ، ومع ذلك فيأبى الله ﷻ إلا أن يظهر أحوالهم، ويعلي ذكرهم وشأنهم بين الناس، ويضع حبهم في قلوب عباده.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»^(١).

وأسوق فيما يلي بعض النماذج من أحوال السلف في كراحتهم للشهرة والظهور.

حديث أويس القرني: عن زرارة بن أوفى، عن أسير بن جابر، قال: كان عمر بن الخطاب، إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس. فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم. قال من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم. قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع

(١) صحيح مسلم: (٢٩٦٥).

درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدَةٌ؟ قال: نعم. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُرادٍ، ثم من قَرْنٍ. كان به برصٌ فبرأ منه إلا موضع درهم. له والدة هو بها بُرٌّ. لو أقسم على الله لأبره. فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل» فاستغفر لي. فاستغفر له.

فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتبُ لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحبُّ إلي.

قال: فلما كان من العام المقبل حج رجلٌ من أشrafهم، فوافق عمر. فسأله عن أويس. قال: تركته رث البيت قليل المتاع. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس ابن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُرادٍ، ثم من قَرْنٍ. كان به برصٌ فبرأ منه. إلا موضع درهم. له والدة هو بها بُرٌّ. لو أقسم على الله لأبره. فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل» فأتى أويساً فقال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهداً بسفر صالح. فاستغفر لي. قال: استغفر لي. قال أنت أحدث عهداً بسفر صالح. فاستغفر لي. قال: لقيت عُمر؟ قال: نعم. فاستغفر له. ففطن له الناس. فانطلق على وجهه^(١).

(١) صحيح مسلم: (٢٥٤٢).

قال الشافعي رحمه الله تعالى: (وددت أن الخلق يتعلمون هذا العلم ولا ينسب إليّ منه شيء)^(١).

وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى أنه كتب إلى أخ له: (واحذر حب المنزلة، فإن الزهادة فيها أشد من الزهادة في الدنيا)^(٢).

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى قال: (لم يصدق الله من أحب الشهرة)^(٣).

وكان خالد بن معدان رحمه الله تعالى (إذا عظمت حلقتة قام وانصرف كراهة الشهرة)^(٤).

وقال الزهري رحمه الله تعالى: (ما رأينا الزهد في شيء أقل منه في الرياسة. ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال، فإذا نوزع الرياسة حامى عليها وعادى)^(٥).

(١) حلية الأولياء: (٩/ ١١٨).

(٢) المصدر السابق: (٦/ ٣٨٧).

(٣) حلية الأولياء: (٨/ ١٩).

(٤) مختصر منهاج القاصدين: (ص ٧٦).

(٥) المصدر السابق: (ص ٢٠٩).

فإن قيل: هذا فيه فضيلة الخمول، وذم الشهرة، وأي شهرة أكثر من شهرة الأنبياء، وأئمة العلماء.

قلنا: المذموم طلب الإنسان الشهرة، وأما وجودها من جهة الله تعالى من غير طلب الإنسان فليس بمذموم، غير أن في وجودها فتنة على الضعفاء^(١).

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى علاجاً لحب المدح وثناء الناس، فقال: (لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضرب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فاقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس واقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذلك الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص.

فإن قلت: وما الذي يسهل عليّ ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح؟ قلت: أما ذبح الطمع فيسهله عليك علمك يقيناً أنه ليس من شيء يطمع فيه إلا وبید الله وحده خزائنه لا يملكها غيره، ولا يؤتي العبد منها شيئاً سواه. وأما الزهد في

(١) المصدر السابق: (ص ٢١٠).

الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه
ويزين ويضر ذمه ويشين إلا الله وحده^(١).

ويعلق الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى على ما كتبه عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه في خطابه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
فيقول (وقوله: (ومن تزين بما ليس فيه شأنه الله) لما كان
المتزين بما ليس فيه ضد المخلص فإنه يظهر للناس أمراً وهو
في الباطن بخلافه، عامله الله بنقيض قصده، فإن المعاقبة
بنقيض القصد ثابتة شرعاً وقدرًا، ولما كان المخلص يُعجل له
من ثواب إخلاصه الحلاوة والمحبة والمهابة في قلوب الناس
عُجل للمتزين بما ليس فيه من عقوبته أن شأنه الله بين الناس،
لأنه شأن باطنه عند الله، وهذا موجب أسماء الرب الحُسنى،
وصفاته العليا، وحكمته في قضائه وشرعه.

هذا ولما كان من تزين للناس بما ليس فيه من الخشوع
والدين والنسك والعلم وغير ذلك قد نصب نفسه للوازم هذه
الأشياء ومقتضياتها، فلا بد أن تطلب منه، فإذا لم توجد عنده
افتضح، فشينه ذلك من حيث ظن أنه يزينه.

(١) الفوائد: (١٥٠).

وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق، قالوا: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب غير خاشع. وأساس النفاق وأصله هو التزيّن للناس بما ليس في الباطن من الإيمان، فعلم أن هاتين الكلمتين من كلام أمير المؤمنين مشتقة من كلام النبوة، وهما من أنفع الكلام وأشفاه للسقام.

وأيضاً فإنه أخفى عن الناس ما أظهر الله خلافه، فأظهر الله من عيوبه للناس ما أخفاه عنهم جزاء له من جنس عمله^(١).

ومما له صلة بكرامية الشهرة والظهور ما نقل عن بعض الصحابة عليهم السلام والتابعين لهم بإحسان من كراهمتهم للفتيا وتدافعهم لها بينهم. قال عبدالرحمن بن أبي ليلى رحمه الله تعالى: (أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ما أحد يسأل عن حديث أو فتوى إلا ود أخاه كفاه ذلك. ثم قد آل الأمر إلى إقدام أقوام يدعون العلم اليوم يقدمون على جواب في مسائل لو عرضت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع أهل بدر واستشارهم)^(٢).

(١) أعلام الموقعين: (٢/ ١٦٨-١٦٩).

(٢) مختصر منهاج القاصدين: (١٦).

وذكر ابن القيم أن رجلاً رأى (ربيعة الرأي) يبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقال: (استفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم. قال: ولبعض من يفتي هاهنا أحق بالسجن من السراق)^(١).

ثم نقل ابن القيم رحمه الله تعالى عن بعض العلماء قولهم: (فكيف لو رأى ربيعة زماننا وإقدام من لا علم عنده على الفتيا وتوثبه عليها، ومد باع التكلف إليها، وتسلقه بالجهل والجرأة عليها مع قلة الخبرة وسوء السيرة وشؤم السريرة)^(٢).

ومن دقائق حب الشهرة والظهور ما ذكره صاحب الإحياء، ونقله المقدسي من كتابه مختصر منهاج القاصدين، حيث يقول: (وأخفى من ذلك أن يختفي بحيث لا يريد الاطلاع عليه، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدووه بالسلام، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير، وينشطوا في قضاء حوائجه، ويسامحوه في المعاملة، ويوسعوا له المكان، فإن قصر في ذلك مقصر، ثقل ذلك على قلبه، كأن نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي أخفاها).

(١) أعلام الموقعين: (٤/٢٠٧).

(٢) أعلام الموقعين: (٤/٢٠٧).

وقد روينا عن وهب بن منبه، أن رجلاً من العباد قال لأصحابه: إنا قد فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان، وإنا نخاف أن يكون قد دخل علينا في أمرنا من هذا الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم، إن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه، وإن كان له حاجة أحب أن تقضى لمكان دينه، وإن اشترى شيئاً أحب أن يرخص له لمكان دينه^(١).

ومن دقائق الإخلاص ما ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد عند قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. إذ يقول (المسألة الثانية: التنبيه على الإخلاص، لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه)^(٢).

ويا لها من مسألة عظيمة يغفل عنها كثير منا، فإن من الإخلاص أن تكون دعوة المرء إلى الله وابتغاء وجهه، وليس إلى نفسه وتعظيم ذاته وإشهارها بين الناس، والتفاف الناس

(١) مختصر منهاج القاصدين: (ص ٢١٩).

(٢) كتاب التوحيد (باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله).

حوله، وحب الصدارة بينهم، وعدم رؤية الخير في عمل الآخرين.

ومن دقائق الرياء ما ذكره ابن رجب رحمه الله تعالى بقوله: (وربما أظهروا بالسنتهم ذم أنفسهم واحتقارها على رؤوس الأشهاد، ليعتقد الناس فيهم أنهم عند أنفسهم متواضعون، فيمدحون بذلك وهو من دقائق أبواب الرياء كما نبه عليه التابعون فمن بعدهم من العلماء ويظهر منهم من قبول المدح واستجلابه مما ينافي الصدق والإخلاص. فإن الصادق يخاف النفاق على نفسه ويخشى على نفسه سوء الخاتمة فهو في شغل عن قبول المدح واستحسانه)^(١).

ثانياً: المحبة لعمل الخلوة والخبيئة الصالحة:

وهذا من أبرز علامات الإخلاص وصلاح السرائر. فما زال المخلصون يحرصون على إخفاء صالح أعمالهم من غير الفرائض رجاء محبة الله ﷻ لهم وقبول أعمالهم عنده ﷻ، مستحضرين قوله ﷻ: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»^(٢).

(١) فضل علم السلف على الخلف: (ص ٨).

(٢) مسلم: (٢٩٦٥).

وجاء عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: (اجعلوا لكم خبيئة من العمل الصالح، كما أن لكم خبيئة من العمل السيء).

وقد كان ذلك هدياً بيناً للسلف الصالح، ومن ذلك قول الخريبي: (كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها)^(١).

ويقول القرطبي عند قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ ^(١٤٣) لَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

قلت: ومن هذا المعنى قوله عليه السلام: «من استطاع منكم أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل»^(٢)، فيجتهد العبد، ويحرص على خصلة من صالح عمله، يخلص فيها بينه وبين ربه، ويدّخرها ليوم فاقتة وفقره، ويخبئها بجهد، ويستترها عن خلقه، يصل إليه نفعها أحوج ما كان إليه)^(٣).

يتحدث الأستاذ خالد روضة عن الخبيئة الصالحة فيقول: (زورق من ركبته نجا، وعبادة من اعتادها طهر قلبه وهذب

(١) سير أعلام النبلاء: (٣٤٩/٩).

(٢) مسند الشهاب: (٢٦٧/١)، والصحيح وقفه على الزبير بن العوام.

(٣) تفسير القرطبي: (١٢٧/١٥).

نفسه وعودها الإخلاص، إنها العبادة في السر والطاعة في الخفاء، حيث لا يعرفك أحد، ولا يعلم بك أحد غير الله ﷻ، فأنت عندئذ تقدم العبادة له وحده غير عابئ بنظر الناس إليك، وغير منتظر لأجر منهم مهما قل أو كثر. وهي وسيلة لا يستطيعها المنافقون أبداً، وكذلك لا يستطيعها الكذابون لأن كلا منهما بنى أعماله على رؤية الناس له، وإنما هي من أعمال الصالحين فقط.

إن أعمال السر لا يثبت عليها إلا الصادقون، فهي زينة الخلوات بين العبد وبين ربه، ولكن في وقت قل فيه عمل السر، أو كاد أن ينسى، ينبغي على الحركة الإسلامية إحياء معناه، علماً وعملاً، وينبغي على شباب الصحوة الإسلامية تربية أنفسهم عليه.

وليعلم كل امرئ أن الشيطان لا يرضى ولا يقر إذا رأى من العبد عمل سر أبداً، وإنه لن يتركه حتى يجعله في العلانية، ذلك لأن أعمال السر هي أشد أعمال على الشيطان، وأبعد أعمال عن مخالطة الرياء والعجب والشهرة، وإذا انتشرت أعمال السريين المسلمين ظهرت البركة وعم الخير بين الناس، وإن ما نراه من صراع على الدنيا سببه الشح الخارجي والشح الخفي، فأما الأول فمعلوم، وأما الثاني

فهو البخل بالطاعة في السر، إذ إنها لا تخرج إلا من قلب كريم قد ملأ حب الله سويداءه، وعمت الرغبة فيما عنده أرجاءه، فأنكر نفسه في سبيل ربه، وأخفى عمله يريد قبوله من مولاه، فأحب بهذي الجوارح المخلصة والنفوس الطيبة الصافية النقية التي تخفي عن شهاها ما تنفق يمينها^(١).

وقد نقل الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى بعض أحوال السلف في إخفاء أعمالهم وذلك عند قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]. فقال: (وقال عبدالله بن المبارك، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن، وما يشعر به الناس. وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير، وما يشعر به الناس. وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعرون به. ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدر أن يعملوه في السر، فيكون علانية أبداً. ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما

(١) عن موقع (المسلم).

يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً رضي فعله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (١).

وإتماماً للفائدة أسوق مزيداً من النماذج المضيئة، التي تبين حرص سلفنا الصالح على حفظ أعمالهم وإخفائها عن الناس. فمن ذلك:

كان زين العابدين علي بن الحسين ينفق على أهل مئة بيت في المدينة، يأتيهم في الليل بالطعام، ولا يعرفون من الآتي به، حتى مات ففقدوا ذلك، فعرفوا أن ذلك منه، ووجدوا في ظهره أثراً من نقل الطعام إلى بيوت الأرامل (٢).

وكان ابن المبارك يضع اللثام على وجهه عند القتال لئلا يُعرف، قال أحمد: (ما رفع الله ابن المبارك إلا بخبيئة كانت له) (٣).

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٤) ط/ الشعب.

(٢) سير أعلام النبلاء: (٣/ ٣٩٣).

(٣) صفة الصفوة: (٤/ ١١٥).

وما جاء أن منصور السلمي صام أربعين سنة وقام ليلها،
كان يبكي فتقول له أمه: يا بني قتلت قتيلاً؟! فيقول: أنا
أعلم بما صنعت بنفسي، فإذا كان الصبح كحل عينيه، ودهن
رأسه، وبرق شفتيه، وخرج إلى الناس^(١).

وقال سفيان: (أخبرتني سرية الربيع بن خثيم قالت:
كان عمل الربيع كله سرّاً، إن كان ليحيى الرجل وقد نشر
المصحف فيغطيه بثوبه)^(٢).

وقول سلمة بن دينار: (اكنم حسناتك أشد مما تكنم
سيئاتك)^(٣).

ويقول الشافعي رحمه الله تعالى: (ينبغي للعالم أن يكون
له خبيئة من العمل الصالح فيما بينه وبين الله ﷻ، ولا يعتمد
على العلم فقط، فإنه قليل الجدوى في الآخرة)^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء: (٤٠٦/٥).

(٢) حلية الأولياء: (١٠٧/٢).

(٣) المصدر السابق: (٢٤٠/٣).

(٤) العهود المحمدية: (٢٦٦/١).

وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى أنه كتب إلى أخ له:
(واحذر حب المنزلة، فإن الزهادة فيها أشد من الزهادة في
الدنيا)^(١).

وعن إبراهيم بن أدهم قال: (لم يصدق الله من أحب
الشهرة)^(٢).

وقال ابن قتيبة: (حاصر مسلمة حصناً، فندب الناس
إلى نقب منه، فما دخله أحد، فجاء رجل من عُرْض الجيش
فدخله ففتح الله عليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب
النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى: إني قد أمرت الأذن بإدخاله
ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء! فجاء رجل، فقال: استأذن
لي على الأمير، فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم
عنه. فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له، فقال له: إن صاحب
النقب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألا تسوّدوا اسمه في صحيفة إلى
الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو. قال: فذاك
له. قال: أنا هو. فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال:
اللهم اجعلني مع صاحب النقب!)^(٣).

(١) حلية الأولياء: (٦/٣٨٧).

(٢) الحلية: (٨/١٩).

(٣) عيون الأخبار، لابن قتيبة: (١/٢٦٦).

ثالثاً: موافقة الباطن للظاهر وعدم مخالفة السريرة للعلانية:

وهذه من صفات عباد الله المخلصين الذين لا يقولون ويفعلون ما يخالف ما في بواطنهم وليسوا من أهل ذي الوجهين الذين يلاقون هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه آخر، لأن هذا من صفات المنافقين الذين قال الله ﷻ عنهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وقال عنهم أيضاً: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

فمن علامات الإخلاص مطابقة السريرة للعلانية، بل إن سريرة المخلصين أحسن من علانيتهم، كما جاء ذلك عن ابن عيينة رحمه الله تعالى أنه قال: (إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل، وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجور)^(١).

وأكثر ما يقع فيما يضاد هذه العلامة الحسنة من علامات الإخلاص بعض الوعاظ والمتنسكين الذين يظهرون التنسك والأمر بطاعة الله ﷻ أمام الناس، ثم يسيئون فيما بينهم وبين

(١) تفسير الطبري: (١٣/١٦٣).

الله ﷻ، وقد حكى النبي ﷺ حال هؤلاء، فقال: «لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباء منثوراً» قال ثوبان رضى الله عنه: «صفهم لنا يا رسول الله! أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: «أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»^(١).

والمخلصون من عباد الله ﷻ ليس هذا من شأنهم وليس من أخلاقهم، بل إنهم أسرع الناس إلى امتثال ما يأمرهم الناس به من طاعة الله ﷻ، وأسرعهم إلى الانتهاء عما ينهون الناس عنه من معصية الله ﷻ أمام الناس وفي خلواتهم.

كتب أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل كتاباً إلى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه جميعاً قالاً فيه: (من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب، سلام عليك. أما بعد فإننا عهدناك وأمر نفسك لك. فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها، يجلس بين يديك الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكل حصته من العدل، فانظر كيف

(١) رواه ابن ماجه: (٤٢٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٥٠٢٨).

أنت عند ذلك يا عمر، فإننا نحذرك يوماً تعنى فيه الوجوه،
وَنَجِفُ فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج لحجة ملك قهرهم
بجبروته. فالخلق داخرون له، يرجون رحمته ويخافون عقابه.
وإننا كنا نحدث أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى
أن يكونوا أخوان العلانية أعداء السريرة، وإننا نعوذ بالله أن
ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا، فإنها كتبنا
به نصيحة لك والسلام عليكم.

فكتب إليهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من عمر بن الخطاب
إلى أبي عبيدة ومعاذ، سلام عليكم. أما بعد أتاني كتابكما
تذكران أنكما عهدتاني وأمر نفسي لي فأصبحت قد وليت
أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها، يجلس بين يدي الشريف
والوضيع، والعدو والصديق، ولكل حصته من العدل.
كتبتما فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر! وأنه لا حول ولا
قوة لعمر عند ذلك إلا بالله عز وجل. وكتبتما تحذراني ما حذرت
منه الأمم قبلنا، وقديماً كان اختلاف الليل والنهار بآجال
الناس يقربان كل بعيد، ويبليان كل جديد، ويأتیان بكل
موعود، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار،

كتبتهما تحذرا في أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا أخوان العلانية أعداء السريرة، ولستم بأولئك وليس هذا بزمان ذاك، وذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرغبة، تكون رغبة الناس بعضهم إلى بعض لصالح دنياهم. كتبتهما تعوداني بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما، وأنكما كتبتهما به نصيحة لي، وقد صدقتما، فلا تدعا الكتاب إليّ فإنه لا غنى بي عنكما، والسلام عليكما^(١).

وقال حميد الطويل رحمه الله تعالى: (لئن كنت إذا عصيت الله خالياً ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت)^(٢).

وقال ابن الإعرابي: (أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد)^(٣).

ومن هؤلاء المخلصين الذين شهد لهم بمطابقة السريرة للعلانية الحسن البصري رحمه الله تعالى، فعن خالد بن

(١) الحلية، لأبي نعيم: (١/٢٣٨).

(٢) إحياء علوم الدين: (٤/٣٩٨).

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي: (٦٩٨٧).

صفوان قال لقيت مسلمة بن عبد الملك فقال يا خالد أخبرني عن حسن أهل البصرة. قلت: أصلحك الله أخبرك عنه بعلم أنا جاره إلى جنبه وجليسه في مجلسه، وأعلم من قبلي به: أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبهه قولاً بفعل، إن قعد على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد عليه، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنياً عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه^(١).

وهناك بعض الصور التي يترفع عنها صاحب السريرة الصالحة، لأنها من علامات مخالفة السريرة للعلانية، من هذه الصور:

إظهار الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، مع أن الأمر في الباطن خلاف ذلك، حيث يكون حب الدنيا قد تمكن من القلب وسافر في أوديتها وتفرق في شعابها.

إظهار الغيرة على الدين والحدب عليه، وأنه الهم الشاغل للنفس، مع أن هذا الادعاء لا يتعدى اللسان أو الكتابة، أما القلب فيكاد يفرغ من هذا الهم المدعى، لأنه قد امتلأ باهتمامات أخرى تسبق الاهتمام بالإسلام في سلم

(١) سير أعلام النبلاء: (٤/٥٧٦).

الأولوية. وهذه الصور عادة ما تظهر عند بعض الوعاظ أو الخطباء أو الكتاب، الذين يظهرون الحرقه والألم على الإسلام والمسلمين، والله أعلم بما في القلوب. فلننتبه لخطر هذه المناقضة، ولنحذر هذه الفتنة، فهي من صفات المنافقين التي ذكرها الله ﷻ عنهم بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

مخالطة الكفار أو الظلمة والفسقة ومدحهم أو موافقتهم فيما يقولون ويعملون من مخالفات، ثم ذكرهم بالسوء بعد مفارقتهم، وهذا هو الذي كان أصحاب محمد ﷺ يعدونه من النفاق ويخافون منه.

إظهار المحبة والشفقة للناس وسلامة القلب نحوهم، مع تلبس القلب بأمراض كثيرة تناقض هذا الادعاء: كأضرار الحسد والحقد والشحناء وغيرها.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى صورة متكررة من صور مخالفة الظاهر للباطن، ألا وهي إظهار الغيبة للناس في قالب النصح والشفقة والديانة. يقول رحمه الله تعالى: (ومنهم من يخرج الغيبة في قوالب شتى.

تارة في قالب ديانة وصلاح، فيقول: ليس لي عادة أن أذكر أحداً إلا بخير، ولا أحب الغيبة ولا الكذب، وإنما أخبركم بأحواله، ويقول: والله إنه مسكين أو رجل جيد، ولكن فيه كيت وكيت، وربما يقول: دعونا منه، الله يغفر لنا وله. وإنما قصده استنقاظه وهضمُ لجنابه، ويخرجون الغيبة في قوالب صلاح وديانة، يخادعون الله بذلك، كما يخادعون مخلوقاً، وقد رأينا منهم ألواناً كثيرة من هذا وأشباهه... ومنهم من يخرج الغيبة في قالب التعجب، فيقول: تعجبت من فلان كيف لا يفعل كيت وكيت؟ ومن فلان كيف وقع منه كيت وكيت، وكيف فعل كيت وكيت؟! فيخرج اسمه في معرض تعجبه. ومنهم من يخرج الازدحام فيقول: مسكين فلان. غمني ما جري له وما تم له، فيظن من يسمعه أنه يغتم له ويتأسف، وقلبه منطو على التشفي به. ولو قدر لزيد على ما به. وربما يذكره عند أعدائه ليتشفوا به، وهذا وغيره من أعظم أمراض القلوب والمخادعات لله ولخلقه. ومنهم من يظهر الغيبة في قالب غضب وإنكار منكر، فيظهر في هذا الباب أشياء من زخارف القول وقصده غير ما أظهر والله المستعان^(١).

(١) مجموع الفتاوى: (٢٨/٢٣٧-٢٣٨).

رابعاً: خوفهم من أن ترد أعمالهم الصالحة:

وذلك كما وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦٠].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند الآية الأخيرة: (أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصرُوا في القيام بشرط الإعطاء. وهذا من باب الإشفاق والاحتياط، كما روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله ﷻ؟ قال: (لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله ﷻ) (١)، وهكذا رواه الترمذي وابن أبي حاتم بنحوه. وقال: (لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم

(١) مسند أحمد: (٦/١٥٩).

(أولئك يسارعون في الخيرات)^(١)، وقال الحسن: (يؤتون الإخلاص، ويخافون ألا يقبل منهم)^(٢).

وأخبار السلف في خوفهم من أن ترد أعمالهم الصالحة بسبب بعض المكدرات كثيرة، فمن ذلك:

عن تميم المقرئ قال: سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول: (لأن أستيقن أن الله قد تقبل مني صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها، إن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾)^(٣).

قول الربيع بن خثيم: (كل ما لا يُبتغى فيه وجه الله ﷻ يضمحل)^(٤).

وعن محمد بن مالك بن ضيغم قال: حدثني مولانا أبو أيوب قال: قال لي أبو مالك يوماً: يا أبا أيوب احذر نفسك على نفسك، فإني رأيت هموم المؤمنين في الدنيا لا تنقضي، وإيم الله لئن لم تأت الآخرة المؤمن بالسرور لقد اجتمع عليه الأمران:

(١) تحفة الأحوذى: (١٩/٩)، وانظر المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير: (ص ٩١٦-٩١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: (٨٠/٣).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١٣٢/١٢).
(٣) تفسير ابن كثير: (٧٩/٣)، ط الشعب.
(٤) صفة الصفوة: (٦١/٣).

همّ الدنيا وشقاء الآخرة. قال قلت: بأبي أنت وكيف لا تأتية الآخرة بالسرور وهو ينصبّ لله في دار الدنيا ويدأب؟ قال: يا أبا أيوب فكيف بالقبول وكيف بالسلامة؟ ثم قال: كم من رجل يرى أنه قد أصلح شأنه، قد أصلح قربانه، قد أصلح همّته، قد أصلح عمله، يجمع ذلك يوم القيامة ثم يضرب به وجهه^(١).

وقال العز بن عبد السلام: (قد يرى الإنسان اثنين فيظن أن أحدهما أفضل من الآخر، لما يرى من طاعته الظاهرة، والآخر أفضل منه بدرجات كثيرة، لما اشتمل عليه من المعارف والأحوال، والقليل من أعمال الأعرف خير من الكثير من أعمال العارف، وأين الثناء من المستحضرين لأوصاف الجلال وتعرّف الكمال، من ثناء المسبحين بألستهم الغافلين بقلوبهم؟ ليس التكحل في العينين كالكحل)^(٢).

خامساً: الفرار من العجب وتزكية النفس:

وهذا من دأب المخلصين الذين يعرفون ربهم بأسمائه الحسنی وصفاته العلا، ويعلمون ويوقنون بأنه ﷻ المتفضل

(١) صفة الصفوة: (٣/ ٣٦٠).

(٢) قواعد الأحكام: (٣٥٩).

عليهم بالإيجاد والإعداد والإمداد، وهو الذي أمدهم بالسمع والبصر والفؤاد وقد خرجوا من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً ولا يقدرّون على شيء، فمن أين يأتي العجب إلى هذه النفوس المعترفة بفضل ربها عليها في كل شيء والمعترفة بتقصيرها وآفات وعجزها، وأن الله ﷻ لو وكلها إلى أنفسها لضاعت وخسرت. ولذا نرى مثل هؤلاء المخلصين شديدي الاستعانة بالله ﷻ والتوكل عليه وحده ومترئين من الحول والقوة، فارين من العجب وأسبابه. وأخبارهم في ذلك كثيرة:

قال مطرف بن عبدالله: (لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إليّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً)^(١).

وقال مسروق: (كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله)^(٢).

وجاء عن ابن حزم قال: (كانت في عيوب، ومنها عجب شديد، فناظر عقلي نفسي بما يعرفه من عيوبها حتى ذهب

(١) الحلية: (٢/ ٢٠٠).

(٢) الدر المنثور، للسيوطي: (٥/ ٤٧٠).

كله، ولم يبق والحمد لله أثر، بل كلفت نفسي احتقار قدرها جملة واستعمال التواضع^(١).

وجاء عنه أيضاً قوله: (من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه، فإن أعجب بفضائله فليفتش فيه عن الأخلاق الدنية، فإن خفت عليه عيوبه جملة حتى يظن أنه لا عيب فيه فليعلم أنه مصيبة للأبد، وأنه أتم الناس نقصاً، لأن العاقل من ميز عيوب نفسه فغالبها، وسعى في قمعها، فإن أعجبت بآرائك فتفكر في سقطاتك واحفظها، وإن أعجبت بخيرك ففكر في معاصيك وتقصيرك، وإن أعجبت بعلمك فاعلم أنه لا خصلة لك فيه وأنه موهبة من الله)^(٢).

وعن أبي وهب المروزي: سألت ابن المبارك: ما الكبر؟ قال: أن تزدرى الناس. فسألت عن العجب قال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك. لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العجب^(٣).

(١) الأخلاق والسير: (٣٣، ٣٤).

(٢) رسائل ابن حزم: (١/٢٨٧).

(٣) سير أعلام النبلاء: (٨/٤٠٧).

وللإمام ابن القيم رحمه الله تعالى كلام نفيس في علاج العجب، وذلك في حديثه عن شهود العبد ذنوبه، وحكمة الله ﷻ في تخليته بين العبد والذنوب، إذ يقول: (ومنها أن الله ﷻ إذا أراد بعبد خيراً أنساه رؤيته طاعته ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا ابتلي بالذنوب جعله نصب عينيه ونسي طاعاته، وجعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنبه أمامه إن قام أو قعد أو غداً أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه. كما قال بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه كلما ذكرها بكى وندم وتاب واستغفر وتضرع وأناب إلى الله وذلّ له وانكسر وعمل لها أعمالاً فتكون سبب الرحمة في حقه. ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يمنّ بها ويراها ويعتدّ بها على ربّه وعلى الخلق ويتكبرّ بها ويتعجّب من الناس كيف لا يعظمونه ويكرمونه ويجلونه عليها، فلا تزال هذه الأمور به حتى تقوى عليه آثارها فتدخله النار، فعلامة السعادة أن تكون حسنات العبد خلف ظهره وسيئاته نصب عينيه، وعلامة الشقاوة أن يجعل حسناته نصب عينيه وسيئاته خلف ظهره، والله المستعان.

ومنها أن شهود العبد ذنوبه وخطاياها مُوجب له أن لا يرى لنفسه على أحد فضلاً ولا له على أحد حقاً فإنه يشهد عيوب نفسه وذنوبه، فلا يظن أنه خير من مسلم يؤمن بالله ورسوله ويحرم ما حرم الله ورسوله، وإذا شهد ذلك من نفسه لم ير لها على الناس حقوقاً من الإكرام يتقاضاهم إيّاها ويذمهم على ترك القيام بها، فإنها عنده أخسّ قدراً وأقل قيمة من أن يكون له بها على عباد الله حقوق يجب عليهم مراعاتها، أو له عليهم فضل يستحق أن يكرم ويعظم ويقدم لأجلها، فيرى أن من سلم عليه أو لقيه بوجه منبسط فقد أحسن إليه وبذل له ما لا يستحقه، فاستراح هذا في نفسه وأراح الناس من شكايته وغضبه على الوجود وأهله، فما أطيب عيشه، وما أنعم باله، وما أقرّ عينه، وأين هذا ممن لا يزال عاتباً على الخلق، شاكياً ترك قيامهم بحقه ساخطاً عليهم وهم عليه أسخط^(١).

سادساً: مجاهدتهم لهوى النفس وجعله تبعاً للحق:

وهذه العلامة من علامات الإخلاص تعد من أشق ما على نفوس المخلصين، إذ إن الهوى هو ميل النفس والطبع

(١) مفتاح دار السعادة: (١/ ٣١٠).

إلى ما يهواه. ولا يتخلص منه إلا الصديقون من المؤمنين، ويحتاج التخلص منه إلى مجاهدة عظيمة ومراقبة دقيقة وبقطة شديدة للقلب وتقلباته، ومن مظاهره الخفية أنك قد تدخل في أمر تحسب أنك مخلص فيه وليس لك فيه هوى، فما تلبث أن يدخل الهوى وحظوظ النفس فيتغير كل شيء.

فعلى مرير الإخلاص أن يقوي إرادته ويخاف مقام ربه وينهى النفس عن الهوى حتى تكون الجنة هي المأوى، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: (أفضل الجهاد جهاد الهوى)^(١).

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى: (لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تثاب على ما وافقته من الحق وتعاقب على ما تركته منه، لأنك إنما اتبعت هواك في الموضعين)^(٢).

(١) أدب الدنيا والدين، للماوردي: (٤١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٥٩٠).

وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن المعلمي رحمه الله تعالى في كتابه النفيس (التنكيل) مجموعة من الأسباب التي توقع في الهوى والتعصب ورد الحق وأهمها ضعف الإخلاص، ثم أعقبها بذكر صور من الهوى وصور من العلاج لهذا الهوى، أسوقها للقارئ الكريم مختصرة لفائدتها.

قال رحمه الله تعالى: (ومخالفة الهوى للحق في الاعتراف بالحق من وجوه:

الأول: أن يرى الإنسان أن اعترافه بالحق يستلزم اعترافه بأنه كان على باطل، فالإنسان ينشأ على دين أو اعتقاد أو مذهب أو رأي يتلقاه من مربيه ومعلمه على أنه حق، فيكون عليه مدة ثم إذا تبين له أنه باطل شق عليه أن يعترف بذلك، وهكذا إذا كان آباؤه أو أجداده أو متبوعه على شيء، ثم تبين له بطلانه، وذلك أنه يرى أن نقصهم مستلزم لنقصه، فاعترافه بضلالهم أو خطئه اعتراف بنقصه.

الوجه الثاني: أن يكون قد صار له في الباطل جاه وشهرة ومعيشة، فيشق عليه أن يعترف بأنه باطل فتذهب تلك الفوائد.

الوجه الثالث: الكبر، يكون الإنسان على جهالة أو باطل فيجيء آخر فيبين له الحجة، فيرى أنه إن اعترف كان معنى ذلك اعترافه بأنه ناقص، وأن ذلك الرجل هو الذي هداه، ولهذا ترى من المنتسبين إلى العلم من لا يشق عليه الاعتراف بالخطأ إذا كان الحق يتبين له ببحثه ونظره، ويشق عليه ذلك إذا كان غيره هو الذي بيّن له.

الوجه الرابع: الحسد، وذلك إذا كان غيره هو الذي بين الحق فيرى أن اعترافه بذلك الحق يكون اعترافاً لذلك المبين بالفضل والعلم والإصابة، فيعظم ذلك في عيون الناس، ولعله يتبعه كثير منهم، وإنك لتجد من المنتسبين إلى العلم من يحرص على تخطئة غيره من العلماء ولو بالباطل حسداً منه لهم، ومحاولة لخط منزلتهم عند الناس...^(١).

ثم أخذ رحمه الله تعالى بعد ذلك يذكر بعض الصور التي تكون عند بعض أهل العلم ويكون دافعها الهوى والتعصب، فيقول: (.. فنجد ذا الهوى كلما عرض عليه دليل لمخالفه أو ما يوهن دليلاً لأصحابه شق عليه ذلك واضطرب

(١) التَّنْكِيل: (٢/ ١٨٠-١٨٢) باختصار.

واغتاظ وسارع إلى الشغب، فيقول في دليل مخالفه: هذه شبهة باطلة مخالفة للقطعيات، وهذا المذهب مذهب باطل لم يذهب إليه إلا أهل الزيع والضلال...، ويؤكد ذلك بالثناء على مذهبه وأشياخه، ويعد المشاهير منهم ويطريهم بالألفاظ الفخمة، والألفاظ الضخمة، ويذكر ما قيل في مناقبهم ومثالب مخالفهم، وإن كان يعلم أنه لا يصح أو أنه باطل، ومن أوضح الأدلة على غلبة الهوى على أكثر الناس - أنك تراهم - على أديان مختلفة ومقالات متباينة، ومذاهب متفرقة، وآراء متدافعة ثم تراهم كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

فلا تجد من ينشأ على شيء من ذلك ويثبت عليه يرجع عنه إلا القليل، وهؤلاء القليل يكثرون أن يكون أول ما بعثهم على الخروج عما كانوا عليه أغراض دنيوية..^(١).

واستمر في ذكر بعض صور اتباع الهوى، فقال:

(... افرض أنك قرأت آية فلاح لك منها موافقة قول لإمامك، وقرأت أخرى فلاح لك منها مخالفة قول آخر له،

(١) التنكيل: (٢/ ١٨٠-١٨٢).

أ يكون نظرك إليها سواء؟ لا تبالي أن يتبين منهما بعد التدبر صحة ما لاح لك أو عدم صحته^(١).

افرض أنك وقفت على حديثين لا تعرف صحتها ولا ضعفهما، أحدهما يوافق قولاً لإمامك والآخر يخالفه، أ يكون نظرك فيهما سواء، لا تبالي أن يصح سند كل منهما أو يضعف...؟

افرض أن رجلاً تجبه وآخر تبغضه تنازعا في قضية فاستفيت فيها ولا تستحضر حكمها وتريد أن تنظر. ألا يكون هواك في موافقة الذي تجبه...؟

افرض أنك تعلم من رجل منكرأ وتعذر نفسك في عدم الإنكار عليه، ثم بلغك أن عالماً أنكر عليه وشدد النكير، أ يكون استحسانك لذلك سواء فيما إذا كان المنكر صديقك أم عدوك، والمنكر عليه صديقك أم عدوك؟

(١) وقريباً من هذه الصورة ما ذكره البيهقي عن مقتطع من النصوص ما يوافق هواه إذ يقول: (وهذا دأبه في نقل الأخبار ينقل ما يمكنه التعلق به ويدع الباقي ليوهم من نظر في كتابه أنه حجة له، ولا يفكر في نفسه أن المطلع على السرائر عالم بفعله وأنه ربما ينظر في كتابه من هو عالم فيطلع على تلبيسه، والله يعصمنا من أمثاله بفضلله) القراءة خلف الإمام: للبيهقي (ص ٣١٣).

فتش نفسك تجدك مبتلى بمعصية أو نقص في الدين، وتجد من تبغضه مبتلى بمعصية أو نقص آخر ليس في الشرع بأشد مما أنت مبتلى به. فهل تجد استثنائك ما هو عليه مساوياً لاستثنائك ما أنت عليه، وتجد مقتك نفسك مساوياً لمقتك إياه؟

وبالجملة فمسالك الهوى أكثر من أن تحصى، وقد جربت نفسي أنني ربما أنظر في القضية زاعماً أن لا هوى لي فيلوح لي فيها معنى، فأقرره تقريراً يعجبني ثم يلوح لي ما يחדش في ذاك المعنى فأجدي أترم بذلك الخدش وتنازعني نفسي إلى تكلف الجواب عنه، وغض النظر عن مناقشة ذاك الجواب، وإنما هذا لأنني لما قررت ذلك المعنى أولاً تقريراً أعجبني صرت أهوى صحته هذا مع أنه لم يعلم بذلك أحد من الناس، فكيف إذا كنت قد أذعته في الناس ثم لاح لي الخدش؟ فكيف لو لم يلح لي الخدش، ولكن رجلاً آخر اعترض عليّ به؟ فكيف لو كان المعترض ممن أكرهه؟

والواجب على العالم وطالب العلم أن يفتش عن هوى نفسه حتى يعرفه ثم يحترز منه ويمعن النظر في الحق من حيث هو حق، فإن بان له أنه مخالف لهواه أثر الحق على هواه...^(١) أ.هـ.

(١) التنكيل: (٢/ ١٨٦-١٩٨) باختصار وتصرف يسير.

وبعد هذا الكلام الجيد عن أسباب الوقوع في الهوى ورد الحق والتعصب للباطل، وبعد ذكر الأمثلة لذلك، يحسن ذكر بعض الوسائل المعينة على تجنب الهوى وقبول الحق.

إن الوقوع في الباطل والضلال بسبب الجهل يكون علاجه بالعلم والبصيرة في الدين. أما البقاء على الباطل بعد تبين بطلانه ورد الحق بعد ما تبين أنه الحق فإن علاج هذا المرض الخطير لا ينفع فيه العلم وإزالة الشبهة، لأن سببه الهوى وضعف الإخلاص والتعصب وليس الجهل والشبهة، ومثل هذا لا ينفع فيه إلا أن يذكر بتقوى الله ﷻ والخوف من عقابه ﷻ، كما يذكر بشرف الحق واتباعه والثواب العظيم الذي يكتبه الله ﷻ للمتبعين للحق والمؤثرينه على أهوائهم وشهواتهم، وفي ذلك يقول المعلمي رحمه الله تعالى: (هذه أمور ينبغي للإنسان أن يقدم التفكير فيها ويجعلها نصب عينيه.

يفكر في شرف الحق وضعة الباطل، وذلك بأن يفكر في عظمة الله ﷻ وأنه رب العالمين، وأنه ﷻ يحب الحق ويكره الباطل، وأن من اتبع الحق استحق رضوان رب العالمين، فكان ﷻ وليه في الدنيا والآخرة، بأن يختار له كل ما يعلمه

خيراً له وأفضل وأنفع وأكمل وأشرف وأرفع حتى يتوفاه
راضياً مرضياً، فيرفعه إليه ويقربه لديه، ويجعله في جواره
مكرماً منعماً في النعيم المقيم، والشرف الخالد، الذي لا يبلغ
الأوهام عظمته، وأن من أخلد إلى الباطل استحق سخط
رب العالمين وغضبه وعقابه، فإن آتاه شيئاً من نعيم الدنيا
فإنما ذلك لهوانه عليه ليزيده بُعداً عنه، وليضاعف له عذاب
الآخرة الأليم الخالد الذي لا تبلغه الأوهام.

يتدبر ما يرجى لمؤثر الحق من رضوان رب العالمين،
وحسن عنايته في الدنيا والفوز العظيم الدائم في الآخرة،
وما يستحقه متبع الهوى من سخطه ﷻ، والمقت في الدنيا
والعذاب الأليم الخالد في الآخرة، وهل يرضى عاقل لنفسه
أن يشتري لذة اتباع هواه بفوات حسن عناية رب العالمين
وحرمان رضوانه والقرب منه والزلفى عنده والنعيم العظيم
في جواره، وباستحقاق مقتته وسخطه وغضبه وعذابه الأليم
الخالد؟ لا ينبغي أن يقع هذا حتى من أقل الناس عقلاً، سواء
أكان مؤمناً موقناً بهذه النتيجة، أم ظاناً لها، أم شاكاً فيها، أم
ظاناً لعدمها...

يستحضر أن الذي يهيمه ويُسأل عنه هو حاله في نفسه، فلا يضره عند الله تعالى ولا عند أهل العلم والدين والعقل أن يكون معلمه أو مربيه أو أسلافه أو أشياخه على نقص، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يَسلموا من هذا، وأفضل هذه الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورضي عنهم وكان آباؤهم وأسلافهم مشركين.

هذا مع احتمال أن يكون أسلافك معذورين إذا لم ينبهوا ولم تقم عليهم الحجة. وعلى فرض أن أسلافك كانوا على خطأ يؤاخذون به فاتباعك لهم وتعصبك لا ينفعهم شيئاً بل يضرهم ضرراً شديداً، فإنه يلحقهم مثل إثمك ومثل إثم من يتبعك من أولادك وأتباعك إلى يوم القيامة، كما يلحقك مع إثمك مثل إثم من يتبعك إلى يوم القيامة، أفلا ترى أن رجوعك إلى الحق هو خير لأسلافك على كل حال؟

يأخذ نفسه بخلاف هواها فيما يتبين له، فلا يسامحها في ترك واجب أو ما يقرب منه، ولا في ارتكاب معصية أو ما يقرب منها، ولا في هجوم على مشتبها، ويروضها على الثبوت

والخضوع للحق، ويشدد عليها في ذلك حتى يصير الخضوع للحق ومخالفة الهوى عادة له.

يأخذ نفسه بالاحتياط فيما يخالف ما نشأ عليه، فإذا كان فيما نشأ عليه أشياء يرى أنه لا بأس بها، أو أنها مستحبة، وعلم أن من أهل العلم من يقول: إنها شرك أو بدعة أو حرام، فليأخذ نفسه بتركها حتى يتبين له بالحجة الواضحة صحة ما نشأ عليه، وهكذا ينبغي له أن ينصح غيره ممن هو في مثل حاله، فإن وجدت نفسك تأبى ذلك، فاعلم أن الهوى مستحوذ عليها فجاهدها^(١) أ.هـ.

• العلامة الثانية: لصلاح السريرة:

ترك ما لا يعني والانشغال بالنفس وإصلاحها عن الانشغال بعيوب الناس. وهذا من علامات صلاح الباطن، حيث إن صاحب السريرة الصالحة لا تراه إلا منشغلاً بنفسه وإصلاحها معرضاً عن عيوب الناس، فعنده من الإصلاحات لنفسه ما يشغله عن غيره. وتراه في إصلاح حاله مركزاً على

(١) التنكيل: (٢/ ١٩٠-٢٠٠) باختصار.

قلبه وسريره ساعياً في إصلاح ما فسد منها باذلاً جهده في التخلص من الآفات التي تفسدها.

وهذا من علامات توفيق الله ﷻ لعبده المؤمن، ومن علامات الخذلان أن تجد العبد منشغلاً بعيوب الناس وآفاتهم ناسياً نفسه وآفاتهما.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى وهو يفصل في حكمة الله تعالى في قضائه وتخليته بين العبد والذنب: (ومنها: أنه يوجب له الإمساك عن عيوب الناس والفكر فيها، فإنه في شغل بعيوب نفسه، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وويل لمن نسي عيبه وتفرغ لعيوب الناس. هذا من علامة الشقاوة كما أن الأول من أمارات السعادة)^(١).

وقال في موطن آخر: (فمن عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس، من عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه، أنفع العمل أن تغيب فيه عن الناس بالإخلاص وعن نفسك بشهود المنة فلا ترى فيه نفسك ولا ترى الخلق)^(٢).

(١) مفتاح دار السعادة: (١/ ٣١٠).

(٢) الفوائد: (ص ٦٣).

وهذا لا يعني ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإهمال دعوة الناس، وإنما المقصود أن لا تنسيه دعوة الناس إصلاح نفسه والاهتمام بها ونسيان آفاتهما الظاهرة والباطنة.

• العلامة الثالثة: أصحاب السريرة الصالحة إذا رُؤوا ذَكَرَ اللهُ ﷻ:

جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بخياركم» قالوا بلى. قال: «الذين إذا رؤوا ذكر الله. أفلا أخبركم بشراركم». قالوا: بلى. قال: «المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العيب»^(١).

وجاء في الزهد لابن المبارك عن العلاء بن المسيب عن أبي الضحى قال: سمعته يقول: (إن عباد الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين إذا رؤوا ذكر الله)^(٢).

وهؤلاء الذين تذكر رؤيتهم ذكر الله ﷻ لاشك أنهم المؤمنون باطنًا وظاهرًا الذين صلحت سرائرهم، فألقى الله ﷻ النور والسمت الحسن على ظواهرهم ووجوههم، فأحبهم الناس، وذكروا الله ﷻ برؤيتهم، وهذا مصداق

(١) انظر صحيح الأدب المفرد، حيث حسنه الألباني: (٢٤٦).

(٢) الزهد لابن المبارك: (٣/١٤٨).

قول الله ﷻ في وصفه لأصحاب نبينا محمد ﷺ، وذلك في قوله ﷻ: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية: (قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: سيماهم في وجوههم يعني السمت الحسن. وقال مجاهد وغير واحد: يعني الخشوع والتواضع... وقال السدي: الصلاة تحسن وجوههم. وقال بعض السلف: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار... وقال بعضهم: إن للحسنة نوراً في القلب، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس. وقال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه. والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله أصلح الله ظاهره للناس، كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته... فالصحابة خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبه في سمتهم وهديمهم)^(١).

(١) تفسير ابن كثير: (٧/ ٣٤٢-٣٤٣) باختصار، ط الشعب.

وقال البقاعي رحمه الله تعالى في نظم الدرر: (سيماهم: أي علامتهم التي لا تفارقهم في وجوههم) ثم بين العلامة بقوله (من أثر السجود) فهي نور يوم القيامة. رواه الطبراني عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم. هذا مع ما لهم من مثل ذلك في الدنيا من أثر الخشوع والهيبة، بحيث إنه إذا رئي أحدهم أورثت لرائيه ذكر الله، وإذا قرأ أورثت قراءته حزناً وخشوعاً وإخباتاً وخضوعاً، وإن كان رث الحال رديء الهيئة^(١).

وقال سيد قطب رحمه الله تعالى أيضاً عند هذه الآية: (... واللقطة الرابعة تثبت أثر العبادة الظاهرة والتطلع المضمّر في ملاحظهم، ونضحها على سياتهم ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مَنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، سيماهم في وجوههم من الوضاعة والإشراق والصفاء والشفافية، ومن ذبول العبادة الحي الوضيء اللطيف... فهو أثر هذا الخشوع. أثره في ملامح الوجه، حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة، ويحل مكانها التواضع النبيل، والشفافية الصافية، والوضاعة الهادئة، والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضاعة وصباحة ونبلاً^(٢).

(١) نظم الدرر: (١٨ / ٣٤٠).

(٢) في ظلال القرآن: (٦ / ٣٣٣٢) باختصار.

وجاء في وصف حماد بن زيد رحمه الله تعالى عن أبي عاصم قوله: (مات حماد بن زيد يوم مات، ولا أعلم له في الإسلام نظيراً في هيئته ودله، أظنه قال: وسمته)^(١).

وعن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: (إنما يهابك الخلق على قدر هيئتك لله)^(٢).

وقال إبراهيم بن الأشعث: (ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله أو ذكر عنده أو سمع القرآن ظهر به الخوف والحزن وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من بحضرته)^(٣).

• العلامة الرابعة: تعظيم الله ﷻ وتعظيم حرماته والخوف منه:

يقول الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

فمن علامات تقوى القلب وصلاح السريرة تعظيم شعائر الله وحرماته، وذلك بتعظيم أو امره بفعلها ونواهي

(١) حلية الأولياء: (٦/ ٢٥٨).

(٢) الحلية: (٨/ ١١٠).

(٣) حلية الأولياء: (٨/ ٨٤).

باجتنابها، والمبادرة السريعة بالتوبة من الذنوب، والحياء من الله ﷻ، وهذا من علامة صحة المحبة لله تعالى، وضد ذلك الاستهانة بحرمانات الله ﷻ، والجرأة عليها، وعدم الخوف والوجل عند تعديها، فإن هذا كله يدل على فساد في الباطن ومرض في القلب.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (ولو تمكن وقار الله وعظمتته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه، وربما اغتر المغتر، وقال: إنما يحملني على المعاصي حسن الرجا، وطمعي في عفوه، لا ضعف عظمتته في قلبي، وهذا من مغالطة النفس، فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماناته، وتعظيم حرماناته تحول بينه وبين الذنوب. المتجرئون على معاصيه ما قدروا الله حق قدره، وكيف يقدره حق قدره، أو يعظمه ويكبره، ويرجو وقاره ويجله من يهون عليه أمره ونهيه؟ هذا من أحل المحال، وأبين الباطل. وكفى بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله، وتعظيم حرماناته، ويهون عليه حقه^(١)).

(١) الجواب الكافي: (٩٩).

ويقول أيضاً: (على قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيماً وإجلالاً... وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلّى أحدهما عن الآخر فسدت، فإذا اقترن بهذين الثناء على المحبوب المعظم، فذلك حقيقة الحمد، والله ﷻ أعلم^(١)).

وقال هرم بن حيان لأويس القرني: أوصني. قال: توسّد الموت إذا نمت، واجعله نصب عينيك، وإذا قمت فادع الله أن يصلح لك قلبك ونيتك، فلن تعالج شيئاً أشد عليك منهما، بينا قلبك معك ونيتك إذا هو مدبر، وبينما هو مدبر إذا هو مقبل، ولا تنظر في صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت^(٢).

ومن علامات تعظيم حرّمات الله ﷻ الدالة على صلاح السريّة: الغيرة على محارم الله ﷻ إذا انتهكت، والغضب لله تعالى حينما تتعدى حدوده، لأن هذا من شواهد محبته ﷻ، وفي ذلك يقول ابن عقيل في الفنون: (فأين رائحة الإيمان منك

(١) مدارج السالكين: (٢/ ٤٩٥).

(٢) صفة الصفوة: (٣/ ٥٥).

وأنت لا يتغير وجهك فضلاً عن أن تتكلم ومخالفة الله ﷻ واقعة من كل معاش ومجاور، فلا تزال معاصي الله ﷻ والكفر يزيد، وحريم الشرع يُنتهك، فلا إنكار ولا منكر، ولا مفارقة لمرتكب ذلك ولا هجران له، وهذا غاية بُرد القلب وسكون النفس، وما كان ذلك في قلب قطُّ شيءٍ من إيمان، لأن الغيرة أقل شواهد المحبة والاعتقاد^(١).

ويجلى الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى هذه الحقيقة بقوله: (ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ، وبما كان عليه هو وأصحابه رأى أن أكثر من يُشار إليهم بالدين، هم أقل الناس ديناً والله المستعان. وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تُنتهك، وحدوده تضاع، ودينه يترك، وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان، شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق؟ وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم، فلا مبالاة بما جرى على الدين؟ وخيارهم المتحزّن المتكلمّ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل

(١) الآداب الشرعية: (١/ ٩٥).

وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه. وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله، ومقت الله لهم قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون، وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم، كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل^(١).

• العلامة الخامسة: التصديق بالخبر والإذعان للأمر:

وقد سبق ذكر هذا الوصف في مبحث تعريف السريرة الصالحة والقلب السليم في قول ابن القيم رحمه الله تعالى: (اعلم أن التسليم هو الخلاص من شبهة تعارض الخبر، أو شهوة تعارض الأمر أو إرادة تعارض الإخلاص، أو اعتراض يعارض القدر والشرع)^(٢).

وهذه العلامة يعرفها العبد من نفسه، فإذا وجدها فليحمد الله تعالى، لأن هذا هو وصف القلب السليم والسريرة الصالحة وإن وجد ضد ذلك سواء من اعتراض على الخبر بشبهة، أو رد للأمر بشهوة فليبادر إلى إصلاح هذا الفساد

(١) أعلام الموقعين: (٢/ ١٦٤، ١٦٥).

(٢) مدارج السالكين: (٢/ ١٤٧).

وتصفية القلب قبل أن يتمكن من القلب فيهلكه ويحق
الخسران على صاحبه والعياذ بالله ﷻ. والتصديق بالخبر يعني
التسليم لأخبار الله ﷻ، التي جاءت في كتابه ﷻ، أو على لسان
رسوله ﷺ من الأخبار الماضية أو المستقبلية أو الغيوب، التي
حجبت العقول عن إدراكها، فيؤمن بها، ويصدق بها دون
أدنى شبهة أو اعتراض.

أما التسليم والإذعان للحكم فهو نوعان:

الأول: التسليم لأحكام الله الشرعية والإذعان لها، واليقين
بأنها الخير والمصلحة سواء علمت الحكمة منها أم لم تعلم.
قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ
يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا
مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

الثاني: التسليم لأحكام الله الكونية القدريّة، واليقين
بأن فيها الحكمة البالغة سواء ظهر ذلك للعقول أم لم يظهر،
ولا يتعارض مع التسليم لأحكام الله القدريّة، مدافعة ما

أمكن مدافعته منها، بل إن الله ﷻ أمرنا بمدافعة أقداره بأقداره: كمدافعة المرض بالعلاج والجوع بالأكل، فإن لم يأذن الله ﷻ بدفعها لحكمة يعلمها فيجب حينئذ التسليم والرضا بقدر الله ﷻ وقضائه، والحذر من أن يكون في القلب أدنى شبهة، من شأنها إساءة الظن بالله ﷻ، أو الاعتراض على حكمه فإن هذا من فساد السريرة.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (ذروة الإيمان: الصبر للحكم، والرضى بالقدر، والإخلاص في التوكل، والاستسلام للرب ﷻ) ^(١).

ومن لوازم الرضى والتسليم لأحكام الله ﷻ القدريّة سلامة القلب من الغش والدغل والغل. وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (إن الرضى يفتح له باب السلامة. فيجعل قلبه سليماً نقيّاً من الغش والدغل والغل. ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم. كذلك وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضى. وكلما كان العبد أشد رضى كان قلبه أسلم. فالخبث والدغل والغش: قرين

(١) حلية الأولياء: (١/٢١٦).

السخط. وسلامة القلب وبره ونصحه: قرين الرضى. وكذلك الحسد: هو من ثمرات السخط. وسلامة القلب منه من ثمرات الرضى^(١).

• العلامة السادسة: أداء الأعمال الصالحة وترك المنهيات، تعبداً لله ﷻ (محبة وخوفاً ورجاءً)، وليس من باب الإلف والعادة:

إن استحضار معنى العبودية لله ﷻ حين أداء العمل الصالح شرط في قبوله، والحصول على ثماره اليانعة في الدنيا والآخرة، وحينما يصاحب العامل شعور العبودية لله ﷻ، فإنه يكون محافظاً على شروط صحتها وقبولها عند الله تعالى، وأهم هذه الشروط الإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسول الله ﷺ، وكلما كان شهود العبودية لله تعالى في الأعمال أقوى وأكمل كان ذلك دليلاً على قوة الإيمان في القلب وصلاح السريرة. وعندما يغفل العبد عن شهود العبودية لله تعالى في أداء الأعمال وترك النواهي، فإن باعث العادة والإلف هو الذي يغلب على أعماله، ومن ثم تضعف ثمار هذه الأعمال، وقد يخسرها عند الله ﷻ.

(١) مدارج السالكين: (٢/٢٠٧).

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في منزلة التواضع: (التواضع بأن تخدم الحق ﷻ وتعبده بما أمرك به على مقتضى أمره، لا على ما تراه من رأيك، ولا يكون الباعث لك داعي العادة كما هو باعث من لا بصيرة له، غير أنه اعتاد أمراً فجرى عليه، ولو اعتاد ضده لكان كذلك. وحاصله: أنه لا يكون باعثه على العبودية مجرد رأي وموافقة هوى ومحبة وعادة، بل الباعث مجرد الأمر. والرأي والمحبة والهوى والعوائد منفذة تابعة، لا أنها مطاعة باعثة، وهذه نكتة لا ينتبه لها إلا أهل البصائر)^(١).

ويقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى: (رأيت عادات الناس قد غلبت على عملهم بالشرع. فهم يستوحشون من فعل الشيء لعدم جريان العادة لا لنهي الشرع... ونرى خلقاً يحافظون على صلاة الرغائب، ويتوانون عن الفرائض... ومنهم من يعلم أن أصل ماله حرام، ويصعب عليه فراقه للعادة... وإن وقعت موافقة للشرع فكما اتفق أو لأجل العادة، فإن الإنسان لو ضرب بالسياط ما أفطر في رمضان عادة قد استمرت، ويأخذ أعراض الناس وأموالهم عادة غالبية)^(٢).

(١) مدارج السالكين: (٢/ ٣٣٨).

(٢) صيد الخاطر: (٢٣١).

ويشرح ابن القيم رحمه الله تعالى قول الهروي في منزلة التهذيب: (وهو على ثلاث درجات. الأولى: تهذيب الخدمة أن لا يخالجها جهالة، ولا يشوبها عادة، ولا يقف عندها همة). فيقول في شرحه لقوله «لا يشوبها عادة»: (شوب العادة. وهو أن يمازج العبودية حكم من أحكام عوائد النفس تكون منفذة لها، معينة عليها. وصاحبها يعتقدها قربة وطاعة، كمن اعتاد الصوم - مثلاً - وتمرن عليه. فألفته النفس، وصار لها عادة تتقاضاها أشد اقتضاء. فيظن أن هذا التقاضي محض العبودية، وإنما هو تقاضي العادة.

وعلامه هذا: أنه إذا عرض عليها طاعة دون ذلك، وأيسر منه، وأتم مصلحة لم تؤثرها إثارها لما اعتادته وألفته. كما حكى عن بعض الصالحين من الصوفية قال: حججت كذا وكذا حجة على التجريد، فبان لي أن جميع ذلك كان مشوباً بحظي. وذلك أن والدتي سألتني أن أستقي لها جرعة ماء، فثقل ذلك على نفسي. فعلمت أن مطاوعة نفسي في الحجّات كان لحظ نفسي وإرادتها. إذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع^(١).

(١) مدارج السالكين: (٢/ ٩٨، ٩٩).

مثالان من الواقع:

المثال الأول: رأيته بعيني وحز في نفسي، وذلك في أثناء رحلة من الرحلات الخارجية، سافرت فيها في سنة من السنوات من بلدي. وكان معنا بعض العوائل ومن بينهم أسرة من زوج وزوجة وابن لهما، وكانت المرأة قبل إقلاع الطائرة من بلدها محتشمة متسترة قد غطت وجهها وشعرها وسائر جسدها بخمار وعباءة، ولكنها ويا للأسف ما إن أقلعت الطائرة واستوت في الفضاء حتى لفت تلك العباءة ونزعت ذلك الخمار ودستها في حقيبتها اليدوية، ثم أصبحت سافرة الرأس والشعر والوجه! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فعلى أي شيء يدل هذا، إنه يدل على رقة الدين وغياب التبعد لله ﷻ في تنفيذ أحكامه، وإنما هو العادة والإلف المنبئة عن العقيدة والخوف من الله ﷻ.

المثال الثاني: القيام ببعض الأنشطة الدعوية من باب الإلف والعادة: ويقع في ذلك كثير من شباب الدعوة والعاملين في الإغاثة والمناشط الدعوية المختلفة، حيث نرى الكثير منهم يبذل وقته وجهده ويتحمل في ذلك السهر والتعب والسفر

دون ملل ولا فتور نسأل الله ﷻ أن يثيبهم على ذلك. ولكن ما يجب التنبيه عليه هنا هو أن باعث الإلف والعادة والتلذذ لهذه الأعمال أفقدها عند بعضهم شهود التعبد لله ﷻ فيها، ومن الأدلة على ذلك أن يوجد من هؤلاء الشباب من هو مقصر جداً في خدمة والديه أو أحدهما، بحيث أصبحنا نسمع الشكاوى من الأب أو الأم تجاه أبنائهم الملتزمين، وبأنهم يتثاقلون في تلبية طلبات والديهم ولو كان في أمر يسير كإحضار حاجة للبيت، أو إيصال الأب أو الأم لزيارة قريب لهما، لا يستدعي أحياناً دقائق من الوقت. وهنا يقال: أين النشاط المتواصل والسهر والتعب في مناشط الدعوة، الذي قد يستغرق ساعات، بل أياماً دون ملل ولا تعب لماذا لم يحصل الثاقل هنا، وحصل عند حاجة الوالدين مع فارق الوقت الذي يكون في العاملين؟ أليس كلاهما عبادة؟ بل إن عبادة بر الوالدين والإحسان إليهما لا يتقدمهما إلا الواجبات الكبرى، وهي مقدمة على من دونها. والجواب على هذه المفارقة والله أعلم: أن باعث العمل الدعوي عند البعض تغلب عليه العادة والإلف وحظ النفس. وبر الوالدين وخدمتهما لم تتعود عليه النفس، ولا حظ لها فيه، فصار ثقيلاً.

• العلامة السابعة: صاحب السريرة الصالحة متواضع للحق والخلق، وهو يألف ويؤلف:

يصف الرسول ﷺ المؤمن بقوله: «المؤمن مؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»^(١).

وقال أيضاً: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو تحرم عليه النار؟! تحرم على كل قريب هين لين سهل»^(٢).

ويبين ابن القيم رحمه الله تعالى بعض صفات الصديقين، فيقول: (فإذا تمكن العبد في حاله، وصار له إقبال على الله، وجمعية عليه -ملكةً ومقاماً راسخاً- أنس بالخلق وأنسوا به، وانبسط إليهم وحملهم على ضلعهم وبطء سيرهم. فعكفت القلوب على محبته للطفه وظرفه. فإن الناس ينفرون من الكثيف ولو بلغ في الدين ما بلغ. والله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب، ويدفع عن صاحبه من الشر، ويسهل له ما توَعَّر على غيره. فليس الثقلاء بخواص الأولياء، وما ثقل أحد على

(١) مسند أحمد: (٨٨٣١)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٢) الترمذي في صفة القيامة، باب (٤٥)، وقال هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: (٢٠٢٢).

قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفة هناك. وإلا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة، ولطافة وظرفاً. فترى الصادق فيها من أحلى الناس، وألطفهم وأظرفهم. قد زالت عنه ثقاله النفس، وكدورة الطبع، وصار روحانياً سمائياً، بعد أن كان حيوانياً أرضياً فتراه أكرم الناس عشرة، وألينهم عريكة، وألطفهم قلباً وروحاً، وهذه خاصية المحبة، فإنها تلطف وتظرف وتنظف، ومن ظرف هذه الطبقة أن لا يظهر أحدهم على جلسه بحال ولا مقام، ولا يواجهه إذ لقيه بالحال بل بلين الجانب وخفض الجناح وطلاقة الوجه فيفرش له بساط الأنس، ويجلسه عليه، فهو أحب إليه من الفرش الوثيرة^(١).

والتواضع الذي هو من علامات السريرة الصالحة قسمان:

١- التواضع للحق وقبوله والانقياد له.

٢- التواضع للخلق وعدم التكبر والتعالي عليهم.

وقد بين ﷺ هذين القسمين بذكر ما يضادهما من نوعي

الكبر، وذلك في قوله: «الكبر بطر الحق، وغمط الناس»^(٢).

(١) مدارج السالكين: (٣/ ١٨٠، ١٨١).

(٢) مسلم: (٩١).

وصاحب السريرة الصالحة لا تراه إلا منقاداً للحق مسلماً له مستسلاً، لا يعارضه بشبهات عقلية ولا شهوات قلبية.

كما أنه متواضع لعباد الله ﷺ، لا يرى له فضلاً عليهم، ولا يحتقرهم، فضلاً عن أن يتفاخر أو يتعالى عليهم. ومن تواضعه لهم قبول معذرة من أساء إليه منهم، ولو كان في عذره خلل.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (إن التواضع يتولد من بين العلم بالله ﷻ ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفصيلها وعيوب عملها وآفاتها.

فيتولد من بين ذلك كله خلقٌ هو التواضع، وهو: انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة بعباده، فلا يرى له على أحد فضلاً، ولا يرى له عند أحد حقاً، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قبله، وهذا خلقٌ إنما يُعطيه الله ﷻ من يُحبه ويكرمه ويُقربه^(١).

(١) الفوائد: (١٥٧، ١٥٨) باختصار.

ويتحدث الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عن صور
التواضع للدين والحق، فيقول: (التواضع للدين: هو
الانقياد لما جاء به الرسول ﷺ، والاستسلام له، والإذعان.
وذلك بثلاثة أشياء:

الأول: أن لا يعارض شيئاً مما جاء به بشيء من المعارضات
الأربعة السارية في العالم، المسماة: بالمعقول، والقياس، والذوق،
والسياسة.

فالأولى: للمنحرفين من أهل الكبر من المتكلمين، الذي
عارضوا نصوص الوحي بمعقولاتهم الفاسدة. وقالوا: إذا
تعارض العقل والنقل قدمنا العقل، وعزلنا النقل. إما عزل
تفويض، وإما عزل تأويل.

والثانية: للمتكبرين من المنتسبين إلى الفقه، قالوا:
إذا تعارض القياس والرأي والنصوص قدمنا القياس على
النص، ولم نلتفت إليه.

والثالثة: للمتكبرين المنحرفين من المنتسبين إلى التصوف
والزهد. فإذا تعارض عندهم الذوق والأمر. قدموا الذوق
والحال، ولم يعبأوا بالأمر.

والرابعة: للمتكبرين المنحرفين من الولاية والأمراء
الجائرين. إذا تعارضت عندهم الشريعة والسياسة. قدموا
السياسة، ولم يلتفتوا إلى حكم الشريعة.
فهؤلاء الأربعة: هم أهل الكبر. والتواضع التخلص
من ذلك كله^(١).

نماذج من تواضع السلف للحق ووصاياهم في ذلك:

ما كتبه عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في
كتابه المشهور في القضاء، وفيه: (... ولا يمنعك من قضاء
قضيت به اليوم فراجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك:
أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم، ولا يبطل الحق شيء،
وإن مراجعة الحق خير من التماهي في الباطل)^(٢).

وعن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود، عن أبيه قال:
(أتاه رجل فقال: يا أبا عبدالرحمن علمني كلمات جوامع نوافع.
فقال له عبدالله: لا تشرك به شيئاً، وزُلْ مع القرآن حيث زال،

(١) مدارج السالكين: (٢/٣٤٧).

(٢) سنن الدارقطني: (٤/٢٠٦).

ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيداً بغيضاً، ومن جاءك بالباطل فاردده عليه وإن كان حبيباً قريباً^(١).

وقال الذهبي: وفي (مسند الشافعي سماعاً): أخبرني أبو حنيفة بن سمالك، حدثني ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي شريح أن رسول الله ﷺ قال: «من قُتل له قَتِيلٌ فهو بخير النَّظَرَيْنِ: إن أحب أخذ العقل، وإن أحب فله القَوْدُ»^(٢).

قلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا؟ فضرب صدري، وصاح كثيراً، ونال مني، وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: تأخذ به؟ نَعَمْ آخُذُ بِهِ، وذلك الفرض عليّ، وعلى كل مَنْ سمعَه. إن الله اختار محمداً ﷺ من الناس فهداهم به، وعلى يديه، فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين، لا يخرج لمسلم من ذلك^(٣).

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بها، ودعوا ما قلته^(٤).

(١) صفة الصفوة: (١/٤١٩).

(٢) رواه البخاري بلفظ قريب: (٦٨٨٠)، ومسلم: (١٣٥٥).

(٣) رواه أبو داود: (٤٥٠٤)، وأصله في البخاري: (٦٨٨٠)، ومسلم: (١٣٥٥).

(٤) سير أعلام النبلاء: (١٠/٣٤).

وعنه أيضاً: وسمعتُه يقول: وقد قال له رجل: تأخذُ بهذا الحديث يا أبا عبد الله؟ فقال: متى رَوَيْتُ عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً ولم آخذُ به، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب^(١).

وقال الحميدي: روى الشافعي يوماً حديثاً، فقلتُ: تأخذُ به؟ فقال أرأيتني خرجتُ من كنيسة، أو عليّ زُنَّارٌ، حتى إذا سمعتُ عن رسول الله ﷺ حديثاً لا أقول به؟!^(٢).

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: أي سماء تُظلني، وأيُّ أرض تقلني إذا رويتُ عن رسول الله ﷺ حديثاً فلم أقل به^(٣).

وعن الشافعي قال: ما كابرني أحدٌ على الحق ودافع إلا سقط من عيني، ولا قبله إلا هبته واعتقدت مودته^(٤).

ويحكي ابن رجب رحمه الله تعالى أن ذلك كان هدياً لعامة أئمة السلف، فيقول: (كان أئمة السلف المجمع على علمهم

(١) سير أعلام النبلاء: (٣٤ / ١٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: (٣٥ / ١٠).

(٤) سير أعلام النبلاء: (٣٣ / ١٠).

وفضلهم، يقبلون الحق ممن أوردته عليهم، وإن كان صغيراً، ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم^(١).

ويعلق الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى على قوله ﷺ في دعائه: «وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا» بقوله: (ولما كان أكثر الناس إنما يتكلم بالحق في رضاه، فإذا غضب أخرجته غضبه إلى الباطل، وقد يدخله أيضاً رضاه في الباطل، سأل الله ﷻ أن يوفقه لكلمة الحق في الغضب والرضا، ولهذا قال بعض السلف: لا تكن ممن إذا رضي أدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب أخرجته غضبه من الحق)^(٢).

وذكر محمد بن حارث في أخبار سحنون بن سعيد عنه، قال: كان مالك وعبد العزيز بن أبي سلمة ومحمد بن إبراهيم ابن دينار وغيرهم يختلفون إلى ابن هرمرز، فكان إذا سأله مالك وعبد العزيز أجا بهما، وإذا سأله ابن دينار وذووه لا يجيبهم، فتعرض له ابن دينار يوماً، فقال له: يا أبا بكر لم تستحل مني

(١) الفرق بين النصيحة والتعير: (ص ١٠).

(٢) إغاثة اللفهان: (١/ ٢٩).

ما لا يحل لك؟ فقال له: يا ابن أخي وما ذاك؟ قال: يسألك مالك وعبد العزيز فتجيبهما، وأسألك أنا وذويي فلا تجيبنا؟! فقال: أوقع ذلك يا ابن أخي في قلبك؟ قال: نعم. قال: إني قد كبرت سني ودق عظمي، وأنا أخاف أن يكون خالطني في عقلي مثل الذي خالطني في بدني، ومالك وعبد العزيز عالمان فقيهان إذا سمعا مني حقاً قبلاه، وإن سمعا مني خطأ تركاه، وأنت وذووك ما أحببكم به قبلتموه.

قال ابن حارث: (هذا والله الدين الكامل والعقل الراجح، لا كمن يأتي بالهذيان، ويريد أن ينزل قوله من القلوب منزلة القرآن)^(١).

نماذج من تواضع السلف للخلق:

قال عروة بن الزبير رضي الله عنه: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قربة ماء، فقلت: (يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا. فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين. دخلت نفسي نخوة. فأردت أن أكسرهما)^(٢).

(١) أعلام الموقعين: (٢/ ١٩٨).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم: (٢/ ٣٣٠، ٣٣١).

وولى أبو هريرة رضي الله عنه إمارة مرة. فكان يحمل حُزْمة
الخطب على ظهره. ويقول: طَرَّقُوا لِلْأَمِيرِ^(١).

وركب زيد بن ثابت مرة. فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه.
فقال: مه يا ابن عم رسول الله! فقال: هكذا أمرنا أن نفعل
بكبرائنا. فقال: أرني يدك. فأخرجها إليه فقبلها. فقال: هكذا
أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله صلوات الله عليهم^(٢).

وقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين الصحابة رضي الله عنهم حلالاً،
فبعث إلى معاذ حُلة مثمنة. فباعها واشترى بثمانها ستة أعبدٍ
وأعتقهم. فبلغ ذلك عمر، فبعث إليه بعد ذلك حلة دونها.
فعاتبه معاذ، فقال عمر: لأنك بعت الأولى. فقال معاذ: وما
عليك؟ ادفع لي نصيبي. وقد حلفت لأضربن بها رأسك فقال
عمر رضي الله عنه: رأسي بين يديك. وقد يرفق الشاب بالشيخ^(٣).

ومر الحسن على صبيان معهم كِسْرَ خبز. فاستضافوه
فنزّل فأكل معهم، ثم حملهم إلى منزله، فأطعمهم وكساهم،

(١) مدارج السالكين، لابن القيم: (٢/ ٣٣٠، ٣٣١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

وقال: اليد لهم. لأنهم لا يجدون شيئاً غير ما أطعموني، ونحن نجد أكثر منه^(١).

ويذكر أن أبا ذرٍّ رضي الله عنه عَيَّرَ بلالاً رضي الله عنه بسواده، ثم ندم. فألقى بنفسه، فحلف: لا رفعت رأسي حتى يطأ بلال خديّ بقدمه. فلم يرفع رأسه حتى فعل بلال^(٢).

وقال رجاء بن حيوة. قَوِّمْتَ ثياب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه - وهو يخطب- باثني عشر درهماً. وكانت قباء وعمامة وقميصاً وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة^(٣).

ورأى محمد بن واسع ابناً له يمشى مشية منكراً. فقال: تدري بكم شريت أمك؟ بثلاثمائة درهم، وأبوك - لا كثر الله في المسلمين مثله - أنا. وأنت تمشي هذه المشية؟^(٤).

وعن علي بن ثابت قال: (ما رأيت الثوري في صدر مجلس قط إنما كان يقعد إلى جنب الحائط، ويجمع بين ركبتيه)^(٥).

(١) مدارج السالكين، لابن القيم: (٢/ ٣٣٠، ٣٣١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الحلية: (٦/ ٣٧٨).

وعن مطرف قال: ما مدحني أحد إلا تصاغرت عليّ نفسي^(١).

وعن رجاء بن حيوة قال: (سمرت ليلة عند عمر بن عبدالعزيز فاعتل السراج، فذهبت أقوم أصلحه فأمرني عمر بالجلوس، ثم قام فأصلحه ثم عاد فجلس، فقال: قمت وأنا عمر بن عبدالعزيز، وجلست وأنا عمر بن عبدالعزيز، ولؤم بالرجل إن استخدم ضيفه)^(٢).

وعن كنانة بن جبلة السلمي قال: قال بكر بن عبدالله: إذا رأيت من هو أكبر منك، فقل: هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك، فقل: سبقته إلى الذنوب والمعاصي فهو خير مني، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل: هذا فضلٌ أخذوا به، وإذا رأيت منهم تقصيراً فقل: هذا ذنب أحدثته)^(٣).

(١) الحلية: (١٩٨/٢).

(٢) الحلية: (٣٣٢/٥).

(٣) صفة الصفوة: (٢٤٨/٣).

• العلامة الثامنة: محبة الخير لجميع المسلمين، والحرص على اجتماع الكلمة ونبذ الفرقة:

المسلم الصالح السريرة صاحب القلب السليم لا ينطوي قلبه على غل أو غش أو حقد على أحد من المسلمين بل يحب الخير لهم كما يحبه لنفسه ممثلاً قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١)، ومقتضى هذا الحديث أن يكره لهم ما يكره لنفسه، يفرح لفرحهم ويحزن لمصائبهم. وفي ذلك يقول الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى: (وقد استحسّن الإمام أحمد ما حكى عن حاتم الأصم أنه قيل له: أنت رجل أعجمي لا تفصح، وما ناظر ك أحد إلا قطعته، فبأي شيء تغلب خصمك؟ فقال: بثلاث: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ لسانى عنه أن أقول له ما يسوؤه، أو معنى هذا، فقال أحمد: ما أعقله من رجل)^(٢).

ومن لوازم حب الخير للمسلمين طهارة القلب من الحقد والحسد. والحسد مرض من أمراض القلوب الشائعة

(١) البخاري: (١٣)، مسلم (٤٥)، واللفظ للبخاري.

(٢) الفرق بين النصيحة والتعيير: (ص ٣٢).

بين الناس وحقيقته الاعتراض على قدر الله ﷻ، وحكمته في المنع والعطاء والشدة والرخاء. وماهية الحسد كراهية نعمة الله ﷻ على عبد من عباده، وتمني زوالها عن صاحبها. وللحسد غوائل وأخطار مهلكة للدين، ويدل على فساد في السريرة، وله أسباب عدة منها:

- ١- العداوة والبغضاء، وهو أشد أبواب الحسد.
- ٢- التعزز، وحاصله أن يثقل على الحاسد أن يترفع عليه المحسود في دنيا أو دين.
- ٣- التكبر واحتقار الغير، وتوقع انقيادهم ومتابعتهم له، فإذا أصابهم نعمة وارتفع حالهم خاف الحاسد أن ينقلب الحال عليه وينفض الناس عنه.
- ٤- المماثلة والمساواة، وهذه في العادة تكون بين الأقران في دنيا أو دين.
- ٥- الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كل منهما يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له على الانفراد بمقصوده.
- ٦- حب الرياسة وطلب الجاه والثناء، فينشأ الحسد من طالب ذلك لكل من يراه أو يسمع به ممن يساميه، أو يكون نظيراً له.

٧- خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى، والفرح بالشرور عليهم^(١).

والموفق من وفقه الله ﷻ، وأصلح سيرته، وطهرها من هذا المرض العضال، ووفقه للأخذ بأسباب علاج الحسد، وهي على قسمين:

الأول: قسم علمي: وهو مداواة الحسد بالعلم النافع لمرض الحسد، وهو الرضى بقدر الله ﷻ، وحكمته في منعه وعطائه وقسمه، والعلم بأن الحسد ضرر على صاحبه في الدنيا والآخرة، وأن المحسود لا يتضرر بحسد الحاسد، بل قد ينتفع.

الثاني: قسم عملي: وهو مداواة الحسد بالعمل النافع، وهو أن يكلف الحاسد نفسه نقيض قصده، فإن بعثه الحسد على ذم المحسود، فإنه يكلف لسانه المدح والثناء على المحسود، وإن حملة التكبر ألزم نفسه التواضع، والاعتذار إليه والدعاء له وبذل الأسباب في إيصال الخير له، وكبح الشر عنه.

(١) انظر: تصفية القلوب، يحيى بن حمزة اليماني: (ص ١٧٥-١٧٨).

ومن لوازم حب الخير للمسلمين المحبة لاجتماع كلمتهم، ولا سيما دعائهم ومجاهديهم، يحب ذلك من قلبه، ويفرح به، ويسعى بقوله وفعله لجمع الكلمة ونبذ الفرقة، وقد ضرب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أروع الأمثلة في ذلك. وذلك في رسالته إلى تلاميذه، يأمرهم بجمع الكلمة، وتأليف القلوب، وإصلاح ذات البين.

يقول رحمه الله تعالى: (وتعلمون من القواعد العظيمة -التي هي من جماع الدين- تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والاتلاف. وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة...) إلى أن قال في الرسالة نفسها:

(وأول ما أبدأ به من هذا الأصل: ما يتعلق بي، فتعلمون رضي الله عنكم جميعاً: أني لا أحب أن يؤذى أحد من عموم

المسلمين -فضلاً عن أصحابنا- بشيء أصلاً، لا باطناً، ولا ظاهراً، ولا عندي عتب على أحد منهم، ولا لوم أصلاً، بل لهم عندي من الكرامة والإجلال والمحبة والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان، كل بحسبه.

ولا يخلو الرجل إما أن يكون مجتهداً مصيباً، أو مخطئاً، أو مذنباً، فالأول: مشكور، والثاني: أجره على الاجتهاد، فمعفو عنه مغفور له، والثالث: يغفر الله لنا وله ولسائر المؤمنين، فنطوي بساط الكلام المخالف لهذا الأصل، كقول القائل: فلان كان سبب هذه القضية، فإني لا أسامح من آذاهم من هذا الباب، ولا حول ولا قوة إلا بالله، بل مثل هذا يعود على قائله بالملام، إلا أن يكون له من حسنة، ومن يغفر الله له إن شاء، وقد عفا الله عما سلف...) إلى أن قال رحمه الله في الرسالة نفسها:

(فلا أحب أن يتتصر من أحد بسبب كذبه عليّ، أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا منهم في حل من جهتي)^(١).

(١) مجموع الفتاوى: (٢٨ / ٥١ - ٥٧) باختصار.

ومن لوازم محبة الخير للمسلمين واجتماع كلمتهم الدالة على صلاح السريرة نبذ التعصب والحزبية المقيتة، ولا سيما بين المنتسبين لعقيدة واحدة ومنهاج واحد. فلا ترى صاحب القلب السليم والسريرة الصالحة إلا محباً لكل داعية وجماعة، تدعو إلى الله ﷻ على بصيرة ولو لم يعرفهم، أو يلتقي بهم يفرح بأي باب من الخير يفتحه الله ﷻ على يد من كان من عباده، ويفرح بأي باب من الشر يغلق على يد من كان ذلك، يحبهم ويدعو لهم، ويعينهم إن كان قادراً على ذلك.

وعن الفرق بين التحزب الممدوح والتحزب المذموم يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب - أي تصير حزباً - فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل: التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم، سواء كان على الحق أو الباطل، فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله ﷺ، فإن الله ورسوله ﷺ أمرا بالجماعة والائتلاف،

ونها عن الفرقة والاختلاف، وأمر بالتعاون على البر والتقوى، ونها عن التعاون على الإثم والعدوان^(١).

وإن ما سبق ذكره لا يعني ألا يوجد خلاف أبداً بين الأفراد أو الجماعات، كلا... فالخلاف - والله أعلم - أمر حتمي بحكم اختلاف الطبائع والمقومات الشخصية والفكرية والعقلية... إلخ، ولكن ليس كل اختلاف يوجب الفرقة والتنازع والتباغض، وأوضح مثال لذلك أن السلف رحمهم الله قد اختلفوا في كثير من المسائل، ومع ذلك كانت كلمتهم وقلوبهم مجتمعة ولم يتفرقوا، والكلام هنا منصب على من هم في دائرة أهل السنة والجماعة ولم يختلفوا في أصولها، أما المخالفون لأهل السنة من أهل الأهواء والبدع، فإن خلافاً معهم أصيل ومتعين، ومثل هؤلاء ينبغي أن نفارقهم ونبتأ من بدعهم وضلالاتهم.

وإن الأمة - منذ عهد أصحاب النبي ﷺ - قد وقع بينهم اختلاف في بعض المسائل، ولم يؤد هذا الاختلاف إلى الفرقة، وعندما دخل الشيطان أو أولياؤه من الجن والإنس، وفسدت

(١) مجموع الفتاوى: (٩٢ / ١١).

بعض السرائر وصاحب ذلك جهل في مسائل الخلاف ما يجوز الخلاف فيها وما لا يجوز، أدى هذا إلى تحول الخلاف - الذي تحتمله الشريعة، وتسعه أقوال الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم من سلف هذه الأمة وأئمتهم - إلى عداوة وفرقة.

• العلامة التاسعة: العدل والإنصاف:

وهذه السمة الكريمة التي يعز وجودها في أكثر الناس اليوم، هي من أبرز صفات أهل القلوب السليمة والسرائر الصالحة، حيث إنه لا يوجد من هذه صفته إلا وهو من المعظمين لله تعالى في قلوبهم الخائفين منه المطيعين له في السراء والضراء على أنفسهم وعلى عباد الله ويعبدون.

وصاحب القلب السليم، والسريرة الصالحة المخلص لله تعالى لا يرى إلا عادلاً منصفاً، لا يبغض الناس حقوقهم ولا يجور عليهم، ولا ينسى خيرهم وبلاءهم، يتثبت في الأخبار، ولا يسارع بنقل الشائعات، يحب الخير للمسلمين، وينصف من نفسه ولا يكيل بمكيالين، رائده الحق يدور معه حيث دار.

ومن مظاهر العدل والإنصاف التي تدل على صلاح السريرة:

(أ) عدم قبول الأخبار والشائعات دون تثبت:

يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وفي تفسير هذه الآية يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: (قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس يقول: لا تقل.

وقال العوفي عنه: لا ترم أحداً بما ليس لك به علم. وقال محمد ابن الحنفية: يعني شهادة الزور. وقال قتادة: لا تقل: رأيت، ولم تر، وسمعت، ولم تسمع، وعلمت، ولم تعلم، فإن الله سائلك عن ذلك كله. ومضمون ما ذكره: أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال، كما قال تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] (١) أ.هـ.

والتثبت من الأخبار والأقوال يعني التثبت من الأمور الآتية:

* التثبت من الخبر المنقول فقد يكون كذباً وافتراءً.

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٩).

* وقد يكون الخبر صحيحاً، ولكن له ملابسات وظروف لم يذكرها الناقل، وبعد التثبت وتبين هذه الملابسات قد يظهر عذراً لأصحابها.

* وقد يكون الخبر بعد التثبت صحيحاً، وأنه لا عذر لأصحابه فيه، ولكن يظهر من التثبت أنه موقف خاص له ظروفه، وليس موقفاً عاماً ومنهجاً مطرداً، وإذا كان صاحب الخطأ عالي المهمة في العلم والدعوة والجهاد، احتملت له الهنات، وانغمر خطؤه في بحر حسناته.

والمقصود أن من لوازم العدل الذي هو من علامات الإخلاص لله ﷻ أن يتثبت فيما يقوله وينقله من الأخبار والأحكام، حتى لا يقع في ظلم العباد. ورحم الله الإمام ابن تيمية، حيث يقول: (والله يحب الكلام بعلم، وعدل ويكره الكلام بجهل وظلم)^(١).

(ب) العدل في نقد المواقف الخاطئة:

لا عصمة لبني البشر إلا للرسول عليهم الصلاة والسلام، وكما قال الرسول ﷺ: «كل بني آدم خطاء»^(٢) الحديث.

(١) مجموع الفتاوى: (٩٦/١٦).

(٢) الترمذي: (٢٤٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: (٢٠٢٩).

وتكثر الأخطاء حينما يكون هناك عمل ونشاط، وبخاصة في ميادين الدعوة وكثرة النوازل والمفاجآت، والحاجة فيها إلى قرارات ومواقف سريعة. وحينئذ لابد لأهل الدعوة المباشرين له، والداعمين والمحبين له أن يقدرُوا هذه الظروف، وأن يحذروا العدوان في معالجة ونقد الأخطاء، وأن يجعلوا من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، والسلف الصالح قدوة صالحة في العدل والإنصاف.

والناس في موقفهم من الأخطاء ونقدهم لها ولأصحابها طرفان جائران ووسط عدل. وذلك حسب ما ينطوي عليه القلب من صلاح أو فساد.

الطرف الأول: أهل الغلو والإفراط:

وهم الذين أفرطوا في نقد الأخطاء وأصحابها، حتى جعلوا من الفروع أصولاً، ومن بعض الجزئيات كليات، وجعلوا همّهم تصيد الأخطاء، والفرح بها وتضخيمها، ولم يرحموا من وقع فيها من المجاهدين وطلاب العلم، بل جاروا عليهم في ذلك حتى أساءوا الظن بهم، وبنواياهم،

ومقاصدهم، وبخسوهم حقهم، وأهدروا حسناتهم وما لهم من بلاء وجهاد ودعوة وعلم وعمل وتعليم.

ولا يخفى ما في هذا الموقف من عدوان، ومجانبة للعدل والإنصاف. وفي أمثال هؤلاء يقول الشعبي - رحمه الله تعالى -: (والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة، وأخطأت واحدة، لأخذوا الواحدة وتركوا التسع والتسعين)^(١).

ولو أن هؤلاء المتقدين حاسبوا أنفسهم، وسألوها حينما يخطئون: هل يودون أن يعاملهم إخوانهم بهذا المنهج الجائر، كما يعاملون غيرهم لكان في ذلك سبب لمراجعة أنفسهم، واكتشافهم لهذا المنهج الخاطيء في نقد الرجال ومعالجة الأخطاء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: (فليس من شرط أولياء الله المتقين أن لا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء خطأً مغفوراً لهم، بل ولا من شرطهم ترك الصغائر مطلقاً، بل ولا من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه التوبة).

(١) حلية الأولياء: (٤/ ٣٢٠، ٣٢١).

وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾^١
 أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ
 جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا
 وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ [الزمر: ٣٣-٣٥].
 فقد وصفهم الله بأنهم متقون. و (المتقون) هم أولياء الله. ومع
 هذا فأخبر أنه يكفر عنهم أسوء الذي عملوا. وهذا أمر متفق
 عليه بين أهل العلم والإيمان^(١).

ويعلق الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - على قوله:
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
 وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ
 أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
 [المائدة: ٨]. فيقول: (فإذا كان قد نهى عباده أن يحملهم بغضهم
 لأعدائه أن لا يعدلوا عليهم مع ظهور عداوتهم ومخالفتهم
 وتكذيبهم لله ورسوله، فكيف يسوغ لمن يدعي الإيمان أن
 يحمله بغضه لطائفة متسبة إلى الرسول تصيب وتخطئ على
 أن لا يعدل فيهم، بل يجرد لهم العداوة وأنواع الأذى، ولعله

(١) مجموع الفتاوى: (١١/٦٦، ٦٧).

لا يدري أنهم أولى بالله ورسوله وما جاء به منه علماً وعملاً، ودعوة إلى الله على بصيرة، وصبراً من قومهم على الأذى في الله، وإقامة الحجة لله ومعدرة لمن خالفهم بالجهل^(١).

وكما يجب المرء في الناس أن يعدلوا معه، فكذلك الناس يحبون أن يعدل معهم في تناول عيوبهم، وأسوق بهذه المناسبة تلك المحاورة النافعة التي بين فيها المسور بين مخرمة معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه بعض عيوبه، وما ذارد عليه معاوية في ذلك، لتكون منهجاً في معالجة أخطائنا.

عن عقيل، ومعمار، عن الزهري، حدثني عروة أن المسور بن مخرمة أخبره أنه وفد على معاوية، ففقد حاجته، ثم خلا به، فقال: يا مسور! ما فعل طعنك على الأئمة؟ قال: دعنا من هذا وأحسن. قال: لا والله، لتكلمني بذات نفسك بالذي تعيب عليّ. قال مسور: فلم أترك شيئاً أعيبه عليه إلا بينت له. فقال: لا أبرأ من الذنب. فهل تعدُّ لنا يا مسور ما نلي من الإصلاح في أمر العامة، فإن الحسنة بعشر أمثالها، أم تعد الذنوب، وتترك الإحسان؟ قال: ما تذكر إلا الذنوب. قال

(١) بدائع التفسير: (٢/١٠٥).

معاوية: فإننا نعتزف لله بكل ذنب أذنبناه، فهل لك يا مسور
 ذنوب في خاصتك تخشى أن تهلكك إن لم تغفر؟ قال: نعم.
 قال: فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحق مني، فوالله ما ألي من
 الإصلاح أكثر مما تلي، ولكن والله لا أخير بين أمرين: بين الله
 وبين غيره، إلا اخترت الله على ما سواه، وإني لعلّ دين يقبل
 فيه العمل، ويجزى فيه بالحسنات، ويجزى فيه بالذنوب إلا
 أن يعفو الله عنها، قال: فخصمني. قال عروة: فلم أسمع
 المسور ذكر معاوية إلا صلى عليه^(١).

الطرف الثاني: أهل التفريط والإضاعة:

وهؤلاء وإن كانوا قد فرطوا في الأخذ بالحق ورد
 الباطل، ووقعوا في التقليد الأعمى، إلا إنهم وقعوا في المقابل
 في الغلو في الرجال، والتعصب لأخطائهم، ولسان حالهم
 يقول بالعصمة لمن قلدوهم.

ولذا ترى الواحد منهم يزعجه، ويكدر خاطره إذا قيل:
 إن شيخه وأستاذه مخطئ في بعض ما ذهب إليه من قول أو
 عمل، ويدفعه تعصبه لشيخه وغلوه في محبته له وتأدبه معه

(١) سير أعلام النبلاء: (٣/١٥٠).

إلى تصحيح كل ما يقول أو يفعل، مبرراً ذلك بمبررات
ساحجة متكلفة.

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - في وصف أهل
الطرفين السابقين بعد أن ذكر فضل أئمة الإسلام:
(... وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله ﷺ لا يوجب
قبول كل ما قالوه. وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي
عليهم ما جاء به الرسول ﷺ فقالوا بمبلغ علمهم - والحق في
خلافها - لا يوجب اطراح أقوالهم جملة، وتنقصهم والوقعة
فيهم، فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل بينهما،
فلا نؤثم ولا نعصم، ولا نسلك بهم مسلك الرافضة في علي رضي الله
ولا مسلكهم في الشيخين رضي الله عنهما^(١)).

وقال رحمه الله تعالى في معرض رده على الهروي رحمه
الله تعالى في منازله: (هذا ونحوه من الشطحات التي ترجى
مغفرتها لكثرة الحسنات، ويستغرقها كمال الصدق وصحة
المعاملة، وقوة الإخلاص، وتجريد التوحيد، ولم تضمن
العصمة لبشر بعد رسول الله ﷺ. وهذه الشطحات أوجبت
فتنة على طائفتين من الناس:

(١) أعلام الموقعين: (٣/ ٣٥٨).

إحداهما: حُجبت بها عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم، وصدق معاملتهم، فأهدروها لأجل هذه الشطحات، وأنكروها غاية الإنكار. وأساءوا الظن بهم مطلقاً، وهذا عدوان وإسراف، فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات، والحكم، وتعطلت معالمها.

والطائفة الثانية: حجبوا بها رأوه من محاسن القوم، وصفاء قلوبهم، وصحة عزائمهم، وحسن معاملاتهم عن رؤية عيوب شطحاتهم، ونقصانها، فسحبوا عليها ذيل المحاسن، وأجروا عليها حكم القبول والانتصار لها، واستظهروا بها في سلوكهم. وهؤلاء أيضاً معتدون مفرطون.

والطائفة الثالثة: - وهو أهل العدل والإنصاف - الذين أعطوا كل ذي حق حقه، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلوم، ولا للمعلوم السقيم بحكم الصحيح، بل قبلوا ما يقبل، وردوا ما يرد^(١).

(١) مدارج السالكين: (٢/ ٢٢٠-٢٢٤) باختصار.

الموقف العدل والوسط المتوازن:

(وهؤلاء هم أهل السرائر الصالحة) وهم الذين ذكرهم ابن القيم - رحمه الله تعالى - في ما سبق وسماهم بالطائفة الثالثة، حيث قال عنهم: (وهم أهل العدل والإنصاف، الذين أعطوا كل ذي حق حقه، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح، بل قبلوا ما يقبل، وردوا ما يرد)^(١).

أي أنهم لم يقعوا فيما وقع فيه أهل الغلو والإفراط المضخمين للأخطاء، المهدرين لحق من وقع منه الخطأ، والمهدرين لحسناتهم، المتهمين لنياتهم، بل حفظوا لهم حقوقهم، ولم ينسوا لهم بلاءهم وجهادهم وحسناتهم، ووضعوا أخطاءهم في حجمها الذي تستحقه، ووازنوا بين حسناتهم وسيئاتهم. وفي المقابل لم يذهبوا إلى تقديس الأشخاص، وادعاء العصمة لهم - سواء بلسان المقال أو الحال - بل نظروا للمخطئين بأنهم غير معصومين، ولم يدفعهم حبهم وأدبهم مع شيوخهم إلى تقليدهم في كل ما يقولونه، أو أن يسحبوا ذيل الحسن على كل ما يفعلونه.

(١) المصدر السابق.

نماذج مضيئة من عدل السلف مع مخالفيهم:

النموذج الأول:

عن عبدالرحمن بن شماس قال: دخلتُ على عائشة رضي الله عنها، فقالت: ممن أنت؟ قلتُ: من أهل مصر. قالت: كيف وجدْتُم ابن حُدَيج في غزاتكم هذه؟ قلتُ: خير أمير، ما يقف لرجل منّا فرسٌ ولا بعيرٌ إلا أبدلَ مكانه بعيراً، ولا غلامٌ إلا أبدلَ مكانه غلاماً، قالت: إنه لا يمنعني قتله أخي أن أحدثكم ما سمعت من رسول الله، إني سمعته يقول: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به، ومن شقَّ عليهم فاشقُّ عليه»^(١).

النموذج الثاني:

قال يونس الصديقي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة^(٢).

(١) نزهة الفضلاء: (١/ ٣٢٧)، والحديث رواه مسلم: (١٨٢٨).

(٢) سير أعلام النبلاء: (١٠/ ١٦).



النموذج الثالث:

عن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي: (يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه، فإياك أن تبادره العداوة، وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن ألقه وقُلْ له: بلغني عنك كذا وكذا، واحذر أن تسمي له المبلغ، فإن أنكر ذلك فقل له: أنت أصدق وأبر. لا تزيدن على ذلك شيئاً، وإن اعترف بذلك، فرأيت له في ذلك وجهاً لعذر فاقبل منه، وإن لم تر ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجهاً لعذر، وضاق عليك المسلك، فحينئذ أثبتها عليه سيئة، ثم أنت في ذلك بالخيار، إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أقرب للتقوى وأبلغ في الكرم، لقول الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، فإن نازعتك نفسك بالمكافأة، ففكر فيما سبق له لديك من الإحسان، فعدها ثم أبدر له إحساناً بهذه السيئة، ولا تبخسن باقي إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه. يا يونس

إذا كان لك صديق فشدد يديك به، فإن اتخاذ الصديق صعب ومفارقته سهل^(١).

النموذج الرابع:

وقال الذهبي في ترجمته لمحمد بن نصر المروزي: (لو أنّنا كلنا أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له، قمنا عليه وبدعناه وهجرناه لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده ولا من هو أكبر منهما. والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفضاظة)^(٢).

النموذج الخامس:

قال الذهبي في ترجمة قتادة - رحمه الله تعالى -: (وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه مدلس معروف بذلك، وكان يرى القدر نسأل الله العفو، ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله

(١) صفة الصفوة: (٢/ ٢٥٢، ٢٥٣).

(٢) نزّهة الفضلاء: (٢/ ١١٢٧).

حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل . ثم إنَّ الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعُلمَ تحرّيه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه، يُغفر له زلله، ولا نضلله ونظره، وننسى محاسنه. نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك^(١).

النموذج السادس:

رسالة الشيخ حمد بن عتيق إلى صديق حسن خان -
رحمهما الله تعالى - وما فيها من العدل والإنصاف والأدب
الجم بين أهل العلم - وإن اختلفوا - وهي رسالة طويلة
اقتطف منها ما يلي:

(من حمد بن عتيق إلى الإمام المعظم والشریف المقدم
المسمى محمد الملقب صديق زاده الله من التحقيق وأجاره في
مآله من عذاب الحريق.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فالموجب
للكتاب إبلاغ السلام والتحفّي والإكرام، شيد الله بك قواعد

(١) سير أعلام النبلاء: (٥ / ٢٧١).

الإسلام، ونشربك السنن والأحكام. اعلم وفقك الله أنه كان يبلغنا أخبار سارة بظهور أخ صادق ذي فهم راسخ وطريقة مستقيمة، يقال له صديق فنفرح بذلك ونسر، لغرابة الزمان وقلة الإخوان وكثرة أهل البدع والأغلال، ثم وصل إلينا كتاب الحطة وتحرير الأحاديث في تلك الفصول، فازددنا فرحاً وحمدنا لربنا العظيم لكون ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس. وكان لي ابن يتشبت بالعلم ويحب الطلب، فجعل يتوق إلى اللحوق بكم والتخرج عليكم والالتقاط من جواهركم، لذهاب العلم في أقطارنا وعموم الجهل وغلبة الأهواء. فبينما نحن كذلك إذ وصل إلينا التفسير بكماله فرأينا أمراً عجيباً ما كنا نظن أن الزمان يسمح بمثله وما قرب منه، لما من التفاسير التي تصل إلينا من التحريف والخروج عن طريقة الاستقامة، وحمل كلام الله على غير مراد الله، وركوب التفاسير في حمله على المذاهب الباطلة، وجعلت السنة كذلك، فلما نظرنا في ذلك التفسير تبين لنا حسن قصد منشيئه، وسلامة عقيدته، وتبعده من تعمد مذهب غير ما عليه السلف الكرام. فعلمنا أن ذلك من قبيل قوله ﷺ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

فالحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً كما يحب ربنا ويرضى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فزاد اشتياق التائق وتضاعفت رغبته، ولكن العوائق كثيرة والمثبطات مضاعفة، والله على كل شيء قدير فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس. فمن العوائق تباعد الديار وطول المسافات، فإن مقرنا في فلج اليمامة، ومنها خطر الطريق وكثرة القطاع وتسلط الحرامية في نهب الأموال واستباحة الدماء وإخافة السيل، ومنها ما في الطريق من أهل البدع والضلال بل وأهل الشرك من رافضي وجهمي إلى معتزلي ونحوهم، وكلهم أعداء قاتلهم الله. ربنا آتانا من لدنك رحمة، وهبى لنا من أمرنا رشداً. ومع ذلك فنحن نرجو أن يبعث الله لهذا الدين من ينصره، وأن يجعلنا من أهله، وأن يسهل الطريق ويرفع الموانع، ونسأله أن يمن بذلك فهو القادر عليه.

ولما رأينا ما من الله به عليكم من التحقيق وسعة الاطلاع، وعرفنا تمكنكم من الآلات، وكانت نونية ابن القيم المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية بين أدينا، ولنا

بها عناية ولكن أفهامنا قاصرة وبضاعتنا مزجاة من أبواب العلم جملة، وفيها مواضع محتاجة إلى البيان، ولم يبلغنا أن أحداً تصدى لشرحها، غلب على الظن أنك تقدر على ذلك. فافعل ذلك يكن من مكاسب الأجور، وهي واصله إليك إن شاء الله، فاجعل قرأها شرحها وبيان معناها، وأصلح في النية ذلك تكن حرباً لجميع أهل البدع، فإنها لم تبق طائفة منهم إلا ردت عليها، فهذان مقصدان من بعثها إليك: أحدهما: شرحها، والثاني: الاستعانة بها على الرد على أهل البدع، لأن مثلك يحتاج إلى ذلك، لكونك في زمان الغربة وبلاد الغربة، فإن كنت حريصاً على ذلك فعليك بكتاب العقل والنقل، والتسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة والجوش الإسلامية لابن القيم، ونحوهن من كتبها فإن فيها الهدى والشفاء. ولنا مقصد رابع مهم، وهو أن هذا التفسير العظيم وصل إلينا في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين وألف ١٢٩٧ هجرية، فنظرت فيه وفي هذا الشهر وفي شوال، فتجهز الناس للحج ولم أتمكن إلا من بعضه ومع ذلك وقفت فيه على مواضع تحتاج إلى تحقيق، وظننت أن لذلك سببين:

أحدهما: أنه لم يحصل منكم إمعان نظر في هذا الكتاب بعد إتمامه، والغالب على من صنف الكتب كثرة تردادده وإبقائه في يده سنين بيديه ويعيده، ويمحو ويثبت، ويبدل العبارات، حتى يغلب على ظنه الصحة غالباً، ولعل الأصحاب عاجلوك بتلقيه قبل ذلك.

والثاني: أن ظاهر الصنيع أنك أحسنت الظن ببعض المتكلمة، وأخذت من عباراتهم بعضاً بلفظه وبعضاً بمعناه، فدخل عليك شيء من ذلك ولم تمنع النظر فيها، ولهم عبارات مزخرفة فيها الداء العضال وما دخل عليك من ذلك، فنقول: إن شاء الله بحسن القصد واعتماد الحق وتحري الصدق والعدل. وهو قليل بالنسبة إلى ما وقع فيه كثير ممن صنف في التفسير وغيره. وإذا نظر السني المنصف في كثير من التفاسير وشرح الحديث وجد قلته وما هو أكثر منه، وقد سلكتم في هذا التفسير في مواضع منه مسلك أهل التأويل، مع أنه قد وصل إلينا لكم رسالة في ذم التأويل مختصرة، وهي كافية ومطلعة على أن ما وقع في التفسير صدر من غير تأمل، وأنه من ذلك القليل. وكذلك في التفسير من مخالفة

أهل التأويل ما يدل على ذلك. وأنا اجترأت عليك - وإن كان مثلي لا ينبغي له ذلك - لأنه غلب على ظني إصغائك إلى التنبيه، ولأن من أخلاق أئمة الدين قبول التنبيه والمذاكرة، وعدم التكبر وإن كان القائل غير أهل، ولأنه بلغني عن بعض من اجتمع بك أنك تحب الاجتماع بأهل العلم، وتحرص على ذلك، وتقبل العلم ولو من هو دونك بكثير، فرجوت أن ذلك عنوان توفيق، جعلك الله كذلك وخيراً من ذلك...

فنسأل الله أن يلحقنا بآثار الموحدين، وأن يحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة بمنه وكرمه. وقد اجترأت عليك بمثل هذا الكلام نصحاً لله ورسوله، رجاء من الله أن ينفع بك في هذا الزمان، الذي ذهب فيه العلم النافع ولم يبق إلا رسومه، وأنا أنتظر منك الجواب ورد ما صدر مني من الخطاب. ثم إنني لما رأيت الترجمة وقد سمي فيها بعض مصنفاتك، وكنت في بلاد قليلة فيها الكتب، وقد ابتليت بالدخول في أمور الناس لأجل ضرورتهم كما قيل: خلا لك الجو فيضي واصفري. وألتمس من جنابك تفضل علينا ببلوغ السؤال من أقضية الرسول، والروضة الندية شرح الدرر البهية، ونيل

المرام شرح آيات الأحكام. فنحن في ضرورة عظيمة إلى هذه كلها، فاجعل من صالح أعمالك معونة إخوانك ومحبيك بها، وابعث بها إلينا مأجوراً إن شاء الله تعالى، وليكن ذلك على يد الأخ أحمد بن عيسى الساكن في مكة المكرمة المشرفة، واكتب لنا تعريفاً بأحوالكم. ولعل أحداً منكم من يتلقى هذا العلم ويعتني به ويحفظه عنك، واحرص على ذلك طمعاً أن يجمع لك شرف الدنيا والآخرة، ونسأل الله أن يهب لك ذلك.

ثم اعلم أني قد بلغت السبعين، وأنا في معترك الأعمار لا آمن هجوم المنيّة، ولي أولاد ثمانية، منهم ثلاثة يطلبون العلم كبيرهم سعد المذكور أولاً، يليه عبدالعزيز، وتحتة عبداللطيف. ونرجو أنهم أهل الكتب وممن يعتز بها ويحفظها. وبقيتهم صغار منهم من هو في المكتب ومن دعائنا: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، لا تنسنا من صالح دعائك كما هو لك مبذول، والسلام عليكم ورحمة الله

وبركاته، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم^(١) أ.هـ.
ملخصاً.

العلامة العاشرة: لصلاح السريرة:

الصدق في الحديث، والوفاء بالعهود، وأداء الأمانة، وتنفيذ الوعد، وتقوى الله ﷻ في الخصومة، فكل هذه الخصال تدل على صلاح في السريرة، لأن أضداد هذه الصفات إنما هي من خصال المنافقين، الذين فسدت سرائرهم، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ بقوله: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»^(٢)، ويدخل في ذلك ذو الوجهين، الذي يلقي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه.

ويقول ابن رجب رحمه الله تعالى: (النفاق الأصغر كله راجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، كما قال الحسن.

(١) رسالة من الشيخ العتيق للشيخ صديق حسن خان، ينبهه فيها على أخطاء وقعت له في تفسيره.

(٢) البخاري: (٣٤)، ومسلم (٥٨) واللفظ له.

وقال الحسن أيضاً: (من النفاق اختلاف القلب واللسان، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج)^(١).

العلامة الحادية عشرة:

صدق التوكل على الله ﷻ، وحسن الظن به، والتبرؤ من الحول والقوة، مع فعل الأسباب المأمور بها شرعاً طاعة لله ﷻ دون التعلق بها، وإنما التعلق بخالقها ﷻ ومسببها، وهذا بدوره يضيف على صاحب السريرة الصالحة الاطمئنان، وارتفاع خوف المخلوق من قلبه، لأنه يتمثل قول النبي الصالح هود عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

العلامة الثانية عشرة:

كثرة ذكر الله ﷻ واستغفاره، وهذا من علامة محبة العبد لربه ﷻ، لأن من علامة صدق المحبة كثرة الذكر للمحبيب، ودوام ورود ذكره على القلب.

(١) جامع العلوم والحكم: (١/٤٣٣).

فهو علامة وسبب لصلاح السريرة فبه تصلح السريرة،
وتزكو القلوب، وهو علامة على صلاح القلوب والسرائر
فهو إذن علامة وسبب.

• العلامة الثالثة عشرة: الدعوة إلى الله ﷻ والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر:

إن من علامة صلاح القلب: الصدق في محبة الله ﷻ
ومحبة دينه، وهذا يقتضي أن يكون أمر هذا الدين هو شغل
المؤمن الشاغل، حيث لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال، وهو
يرى دين الله ﷻ ينتهك ويقصى من الحياة، ومن ثم يرى الفساد
المستطير يدب في أديان الناس ودمائهم وأعراضهم وعقولهم
وأموالهم، إن المؤمن الصادق الإيمان صاحب السريرة
الصالحة لا يُقدِّم على هذا الهم الأكبر أي اهتمام من أمور
الدنيا الفانية.

فمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع، ودينه
يترك، وسنة رسوله ﷺ يرغب عنها، وهو بارد القلب، ساكت
اللسان، شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق،

وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟ وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ولرسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل^(١) أ.هـ.

والحاصل أنه كلما كان العبد صادقاً في إيمانه موقناً بوعد ربه صالحاً في سيرته كان مندفعاً مضحياً صابراً محتسباً في سبيل الله ﷻ، يعظم حرمان الله، ويغار على محارم الله، وينصح لعباد الله ﷻ.



(١) أعلام الموقعين: (٢/ ٤٧٦).

